

الكتاب الثاني عشر

الأزهر في ألف عام

ابريل سنة ٩٧٠ م — ابريل سنة ١٩٧٠

الدكتور أحمد محمد عوف

صفر سنة ١٣٩٠ هـ

ابريل سنة ١٩٧٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

صدق الله العظيم

تقديم

لفضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد: فقد كان عمل الأزهر، هو تبليغ الرسالة الإسلامية، وتبليغ الرسالة الإسلامية هو أرفع منزلة، وأشرف وظيفة لأنها رسالة الأنبياء .

فكان عرينها ودرعها وشيخها ، وقد انتشر أبناؤه فى ربوع الأمة الإسلامية كالنجوم : روادا يحملون العلم إلى كل صقع بعيد ، فوسع الله بهم رقعة الثقافة الإسلامية وأنار بجهودهم آفاقا أضاءوها بسنايا الحنيفية السمحاء .

التقى المسلمون جميعا فى الأزهر الشريف لقاء الأسرة الكبيرة فى جدهم الأكبر .

وقد عرف التاريخ أن رجال الأزهر وقد حملوا هذه الأمانة : رسالة الإسلام طول ألف عام ، هم سدنة قلمة ، وحماة عرين ، وجند حصن ، تنبعث منهم الصيحة الحقيقية المؤمنة التى تظهر الإسلام على حقيقته وتعرضه عرضا ذاتيا من مبادئه وجوهره الأصيل .

ولا يستطيع غيرهم أن يحمل مثلهم أعباء هذا الشرف لأن هذا الغير لم يجرب مثل هذه التجربة الرائدة ولم يمارس مثل هذه الخبرة الطويلة زهاء ألف عام .

ومن الصعب عليه أن يبدأ التجربة من جديد لأن آمال الأمم وسجلات التاريخ ومجالات العمل الإسلامية قد دربت الأجيال على ثقة غير محدودة بأزهرهم الشريف، ولقنتهم حبا عارما

وتقديرا رفيعا لكفاحه ، ووطنت نفسها وعلمت قلبها أن يسمع له وأن يستجيب لفتواه وأن يهرع لندائه .

وكم مرة لجأوا إلى ساحته ؛ ذلك لأن الأزهر وجد ليكون للإسلام حصنا ، حاميا ومناخا معرفا ومبلغا .

ومن أبرز الظواهر فى تبليغ الأزهر رسالة الإسلام أنه لم يتدخل فى شرحها وعرضها أو فى الدفاع عنها والذود عن حياضها . .

لم يتدخل بالهوى الشخصى ولا بالعاطفة الخاصة بل نقل الدعوة إلى الناس كافة كما تحملها تركة من سيدنا رسول الله ﷺ فوعاها وأداها كما حفظها صافية نقية واضحة جلية .

فحفظ الأزهر بذلك رسالته : (الإسلام) وحقق وظيفته ، فبات مؤكدا عند التاريخ والأمة أن الأزهر هو :

الأمين على هذا الدين ، والمدافع عن ذاتيته ، والسادن لكرامة شريعته ، ولقد عقد الله القلوب على محبته ، وعلم الشعوب التوجه إليه ، وأذهب عن أهله الحزن ، وبارك فيه وإن تقلبت به السنون .

فهو بحق رمز الفكر والعلم : جامعة ، ومسجدا ، وشيخا ، وثروه ، ومجدا ، وتاريخا ، والكتاب الذى نقدم له هذا الشهر

الأزهر فى ألف عام

للدكتور « أحمد محمد عوف » نقدمه ونشكر عواطفه الكريمة نحو الأزهر الشريف ، ونسأل الله تعالى أن يديم على الأزهر نعمة الوفاء للإسلام ووطنه الكبير ، وبالله التوفيق .

الدكتور عبد الحليم محمود

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

تحية .... للأزهر

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن فصلته
فى مدحه خرز السماء النيرا
واذكره بعد المسجدين معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا
واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأفخم منظرا

أمير الشعراء
« شوقى »

ألف عام
وقيادة الأزهر

إن مصر بل العالم الإسلامى كله مدين للأزهر فكريا وعقائديا وسياسيا . . فلقد تعرضت بلاد المسلمين لثورات جامحة ، وغزو عسكرى وفكرى ، وتعرضت الثقافة الإسلامية فى بغداد إلى نكسات على يد التتار الغزاة ، وتعرضت المساجد فى أسبانيا إلى العدوان على حرماتها عند ما انحسر الحكم الإسلامى عنها ، وتعرض المسجد الأقصى والقدس لهجوم الصليبيين ، لكن الأزهر ظل شامخا يقاوم التيارات المنحرفة ، فيتصدى لها ويجنح بالثقافة الإسلامية إلى بر الأمان ، يغالب ظلال الجهل المطبق الذى ران على العالم الإسلامى ردحا طويلا .. فكان منارة أمل تشع فى ظلام العهود السوداء التى مرت بالأمة الإسلامية ، فضوء المعرفة فيه كان ضوءا فكريا يشع إلى كل شعوب العالم الإسلامى ، وكان رحابه مفتوحا بلا قيود ولا شروط إلى كل وافد ينهل منه عصيرا فكريا إسلاميا خالصا .

فالأزهر صارع الزمن ليبقى ، وتعرض للغزاة ليصمد ، فكان حاملا لمشاعل الحرية ينير بها الطريق أمام الثورات التحررية فى العالم الإسلامى

وكان حاملا لواء الحق لأنه يرمز إليه ، إبان الحكم العثمانى الذى كان يجثم فوق أنفاس الأمة العربية ، فكان الأزهر يتنفس بفضل علمائه وكفاحهم ، الذين تصدوا للفرنسيين إبان احتلالهم وللإنجليز فى وجودهم ، فدفع الأزهر بأبنائه وقوداً لهذه الثورات التى نادت بالاستقلال والحرية لمصر .

فكأن شمعة أضيئت فى ظلام الليالى الحالكة التى مرت بالأمة الإسلامية فلم تقو قوى البغى والظلام أن تطفئ نورها ، ففى رحابه كان الدارسون فى ضيافته وسخائه ، ولدراسته قدمت عدة إصلاحات على مدار العصور التى عاصرها فاتجه من فقه الشيعة إبان الفاطميين بناته إلى الفقه السنى فى العهد الأيوبى .

ومن التطور الفكرى فى عصر المماليك إلى الانحطاط الثقافى فى ظل العثمانيين ومن النهضات الفكرية فى أعقاب الاحتلال الفرنسى إلى قانون تطوير الأزهر فى عهد الثورة ليصبح جامعا يؤم فيه المصلون وجامعة علمية إسلامية تفد إليها البعوث من كل فج عميق .

فالأزهر طوال تاريخه ، وبحكم كونه رمزا للدين الإسلامى كان يعتبر صوت الأمة الذى يصم آذان الدخلاء الواغلين عليها .

فالأزهر يعد بحق أبا للجامعات الإسلامية كلها وأعرقها ،

فعلى هديه سارت فى تنظيمها ومناهجها وعلمائها ، وعلى طريقه اتجهت لتحقيق غايتها .

والأزهر نهض من حلقات الدرس حيث كان الطلبة يتحلقون حول أستاذهم الشيخ إلى المدرجات يطالعهم أستاذهم فى رحابها وتحولت علومه من الحكمة إلى الطب ومن الأرثماطيقى والأسطرلاب إلى الهندسة ، وأصبحت الدراسات الموسوعية التى كان يدرسها كل طالب تتحول الآن إلى دراسات تخصصية فى الشريعة واللغة وأصول الدين والطب والهندسة والتجارة والمعاملات والزراعة .

لقد ظلت قوانين الإصلاح تصدر نتيجة الصراع الذى كان يدور فى الأزهر بين الإصلاح وبين تجميده ولكن سنة التطور دفعت به إلى أن يجارى التطور الفكرى المعاصر من حوله .

وتطور الأزهر من نظام الفتاوى الاجتهادية الشخصية المشتتة إلى مجمع البحوث الإسلامية يتدارس فى لجانه العلماء المتخصصون ليعرضوا أبحاثهم بطريقة أكاديمية علمية فى مؤتمرات لعلماء المسلمين ليقروها .

والأزهر فتحت له نوافذ فى كل أنحاء الدنيا ، فله عدة مراكز ثقافية فى أفريقيا وآسيا ، ودفع بعلمائه إلى كل صوب يخدمون الإسلام وينشرونه مبشرين به ، داعين إليه .

فالأزهر كان وما زال تنبع من جوفه الطاهر روافد للمعرفة الدينية والإنسانية واستطاع أن يحفظ لنا فى أروقته رصيداً فكريا ضخما ، فهو بيت الله وكعبة العلم وملتقى العلماء من قديم الزمان .

وهو الآن يجمع فى رحاب جامعته ٥٤ جنسية من مختلف أنحاء العالم ، لتظل شعلة المعرفة مرفوعة فوق أعلى هامته العتيقة لتنقلها الأجيال اللاحقة بإيمان لا يعرف الوهن وعزيمة لا تعرف اللين وثبور لا يعرف الضعف .

فالأزهر والحق يقال ظاهرة تكونت مع الزمن طوال عشرة قرون ، كان فيها أمينا على الدين الإسلامى حارسا على تعاليم الإسلام تتردد بين جنباته دعوات المظلومين إبان عهود الظلام والاستبداد التى عاصرها .

فإلى الأزهر وإلى العشرة قرون التى سلخها من عصر الزمان ، نعبر عن عرفان بفضل هذا الطود الأشم ، والاعتراف بعظمته والإقرار بمكانته بين العالمين .

قالوا .. عن الأزهر :

الرئيس يشيد بالأزهر فى الهند :

(أيها السادة العلماء : إننى أحمل إليكم من القاهرة ـ مقر الأزهر الشريف ـ تحية إخوان لكم يعملون معكم لنفس الأهداف التى يسعى إليها مجتمعنا . وهى فى الواقع نفس القيم الإنسانية العالية التى يوصى بها ديننا ، وهى فى الوقت نفسه جزء من التراث الروحى الجنس البشرى ـ ذلك التراث الخالد الذى استطاع به الجنس البشرى أن يعبر على جسر من الإيمان فى عصور الظلام الأولى إلى الآفاق الروحية المشتركة) .

قال أمير الشعراء شوقى :

يا معهداً أفنى القـرون جـداره

وطوى الزمان بناؤها والأعصرا

ومشي على يبس المشارق نـوره

وأضـاء أبيض لجهـا والأحجرا

وأتى الزمان عليـه يحمى سـنة

ويذود عن نسك ويمنـع مشعرا

وقال الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بواشنطن:

إن روح المسلمين ومفكريهم جمعت بينهم على اختلاف الأقطار وتباعد الديار فى رحاب الأزهر الشريف بيت الله وكعبة العلم وملتقى العلماء من قديم الزمان .

وكتب الدكتور أحمد زكى رئيس تحرير مجلة (العربى) :

(إنى أدعو كل مفكر أن يفكر فى الأزهر وكل كاتب أن يكتب فى الأزهر مدرسة الإسلام الكبرى ليتحقق للأزهر ما يبتغيه وما يبتغيه له على ضوء من الفكر هاد إن شاء الله) .

وكتب عباس العقاد عن الأزهر :

(يكفى تاريخ كل فترة من حياة هذا المعهد الخالد لتعريف وظيفته التى استقر عليها ، وبيان مكانته التى تبوأها من الأمة فى أيام خضوعها لسلطان الدخلاء الواغلين عليها . فقد تقرر بحكم العرف والتقليد وحكم العقيدة والسمعة أنه صوت الأمة الذى يسمعه الحاكم الدخيل من المحكومين . وأنه ملاذ القوة الروحية فى نفوس أبناء الأمة وفى نفوس الحاكمين الذين يدينون بعقيدتها . ومن لم يكن من أهل تلك العقيدة فقد يحسب لها حسابها الذى ينساه إخوانها فى الدين مع الجهالة المطبقة أو مع هوى الساعة) .

وكتب الدكتور — بيارد دودج فى كتابه عن (الأزهر) :

(إن الأزهر ظاهرة نسجت مع الزمن شيئا فشيئا عشرة قرون قام فيها حارسا أمينا على الدين الإسلامى وعلى اللغة العربية) .

وقال فضيلة الشيخ شلتوت عن تطوير الأزهر :

(إنه تمكين للأزهر من أداء رسالته) .

وكتب الشيخ على طنطاوى محييا الأزهر وعلماءه قائلا :

أولئكم علماء الأزهر وهل فى الدنيا معهد علم له قدم الأزهر وعظمة الأزهر وأثر الأزهر فى الفكر البشرى وفى الحضارة الإنسانية؟

أى معهد يجر وراءه أمجاد ألف سنة . . ؟

فالأزهر درة الدهر تكسرت على جدرانه أمواج القرون وهو قائم . .) .

وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين ما نصه عن الجامع الأزهر :

(إن جامع الأزهر أقدم جامعة علمية فى العالم . فهو يعتبر مركزا لإشعاع علوم القرآن عبر التاريخ . .) .

وجاء فى دائرة معارف (كوليرز) :

ويفد إلى الأزهر الآلاف من العالم الإسلامى ويعتبر أقدم جامعة فى العالم تقدم علوم القرآن والسنة والشريعة مع العلوم التطبيقية والأكاديمية .

هذا.. الأزهر

إن تاريخ الأمم مقرون بالأحداث التي تعاصرها وتاريخ القاهرة مقرون بإنشاء الجامع الأزهر الشريف الذي يعتبر بحق جامع القاهرة كما كان يلقب من قبل.

فطوال الألف عام التي عاصرها.. شهد من أحداث مصر والعالم الإسلامي ما لا يمكن لنا أن نتصوره أو نصوره.. لأن تاريخ هذا البناء الشامخ هو تاريخ القاهرة بأسره.. فهما بنيا في عصر واحد.. وكلاهما أنشيء تحت راية حكم واحدة.. وشيدا على طراز فاطمي موحد.

والأزهر منذ نشأته وهو يعتبر جامعة بحق.. لأنه يتوسط العالم وكان على صلة وثيقة بمدارس بغداد إبان الدولة العباسية.. وكان على اتصال بالمعرفة والثقافة في مدارس قرطبة بالأندلس فكان تبعا لهذا الاتصال الفكري والروحي يعتبر حلقة وصل بين مصر والعالم الإسلامي كله..

والأزهر.. له مواقفه البطولية إزاء السياسة العامة للدولة

المصرية . . وشهد التاريخ أمجادا لهبات هـذا الجامع العظيم . . أفسحت لها المجال لتذكر ضمن هذا الكتاب . .

والأزهر كان يمتاز على أقرانه من الجامعات التى سبقته أن الدراسة كانت فى أروقته على نظام أكاديمى .. يعتمد على الموضوعية والمنهجية فى التدريس والتعليم . . وبطريقة منظمة ومنتظمة . . إلا أن هذه الدراسة كانت قديما دراسة موسوعية شاملة لمعظم ألوان المعرفة السائدة فى حينها . . لـكن تطور الأزهر المعاصر كان دعوة ملحة لفصل العـلوم عن بعضها والميل فى وضع المناهج الدراسية إلى اتباع التخصصية المفيدة الأثر . .

والأزهر احتفظ لنا بأمانة بين أروقته وفى جوف مـكتبته المركزية آلاف المجلدات والمخطوطات الإسلامية النادرة التى تعنى بالتراث الإسلامى وتنتظر طريقها إلى حيز النشر والتحقيق . .

والأزهر . . طوال تاريخه كانت فتاوى علمائه هى النبراس الذى يسير على هديه الشعب المصرى فى كفاحه الطويل . . ورحابه كان مجمعا للقاء الثائرين من أبناء مصر، وكانت أروقته ملتقى لاجتماعاتهم الثورية التى كانت تلهب وجدان المواطنين وتثير حماسهم . . وتعبىء النفوس للنضال والاستشهاد من أجل استقلال البلاد وحريتها ورفع الظلم عنها فى عهود الإظلام . .

فمن الأزهر . . اندلعت ثورة ١٩١٩ ومنه خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط وغضبة المصريين ضد الإنجليز . . فكان صرحا للكيان القومي ورمزا للحرية والتحرر . . فلقد كانت حناجر علمائه وقودا ثوريا يشعل جذوة نار الحرية والتحرر في مصر كلها . . فكانت ثورات الأزهر ثائرة ثائرة . .

والأزهر . . ينظر العالم إلى الدارسين به على أنهم صفوة علماء المسلمين . . وكان دوما مطورا لعلوم الدين . . وكان الأبناء المجاورون لعتباته الطاهرة يتلقفون الدرر التي كانت تخرج من أفواه مشايخه وشيوخه ليستوعبوها في قرارة نفوسهم وفي أذهانهم حافظين لها ومحافظين عليها .

فالعلماء مازالوا يفدون من كل صوب في العالم ليشهدوا في الأزهر منافع لهم ، لأن حلقات الدروس منذ نشأته كانت تعقد بلا قيود لكل ظمآن للمعرفة الإسلامية الخالصة ليرتوي من مناهلها الطاهرة . . فشهد صحنه آلاف الحلقات الدراسية التي كانت تعقد في كنف أعمدته . . فكانت هذه الحلقات تجتمع على خير وتنفض على خير ، وكانت المعرفة في رحابه القدسي تنطلق من أفواه علمائه – خالصة لا يشوبها تشويه أو تحريف . لأنها ملتزمة بالدين وبروح العقيدة الإسلامية في كل صورها . . وكان احترام شيوخ الأزهر وعلمائه لايدانيه احترام . لأنهم صفوة القوم وخيارهم .

وهذا الطود الذى يشمخ أنفة وعظمة . قد تكسرت على عتباته أمواج من الباطل ليدفعها بالحق . ولم يطغ على الثقافات الأخرى ولكنه نقاها بحيث أصبحت تتوائم مع روح الفكر الإسلامى . وعند قيامه . لم يتعارض مع وجود الحركة الفكرية فى رحاب جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط والجامع الطولونى فى القطائع . . لأن هذه الجوامع قد استقطبت بين جدرانها عشرات من أئمة علماء الإسلام ليتدارسوا فيها . وليدرسوا لطلبتهم ما اقتاتوه من المشرق والمغرب حيث اتجهوا ضمن وجهتهم لتلقى العلوم من مناهل المعرفة .

فكان على جامعى عمرو وابن طولون مهمة توجيه الحركة الفكرية فى مصر قبل بناء الأزهر . فساحاتهما كانتا مركز للدراسة والندوات الفكرية فشهدتا الإمام الشافعى ومحمد بن جرير الطبرى وتلاميذهما .

وأول ما درس فى الأزهر هو المذهب الشيعى الإسماعيلى مذهب الفاطميين بناته . والعلوم التى أدخلت عليه لتدريسها به كالطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والمذاهب الأربعة وغيرها قد بدأ تدريسها به عندما تدهور الحال بدار الحكمة . فآلت ثقافتها إلى الجامع الأزهر فحافظ عليها وطورها بالقدر الذى يسر لها ودرسها بما تيسر له ولهـا .

ويتميز القرن التاسع عشر والقرن العشرون بعدة إصلاحات شملت الأزهر على مدار السنين التي مرت بهما . فكان تطوير الأزهر فيهما فكريا ومنهجيا تبعا لعدة القوانين التي صدرت طوال هذه الفترة حتى أتت الثورة .

فأصبح الأزهر جامعا وجامعة ممتدة إلى عدة كليات عملية ، وكانت مراحل الإصلاح تحبو طوال القرن التاسع عشر .

لكن الأزهر زاحم الزمان في موكب الخلود وارتدت عن صرحه هجمات المعتدين . وتكسرت على أبوابه أقلام الجهل والجهال .

فهو الجامع لشعوب الدنيا حول مناراته الخمسة . والجامع للعلم والعبادة والعقل والدين .

والأزهر شعلة الإسلام التي لا تطفئها هبات الباطل . ولا زوابع الكفر ، لأنه رمز للخلود يرتفع في كل ركن من أركانه ، وشعلة للحق يهتدى إليها الضالون . وتعرض صرحه الأشم لتيارات الإلحاد والكفر . فنهض بهامته الضخمة فتحطمت هذه التيارات العاتية أمام صخرة الإيمان والحق وصلابة علماء هذا الجامع الأزهر .

فملى جدرانه . وضعت القاهرة بصمات تاريخها وعلى مداخله أودعت ذكرياتها فهو وليدها البكر الذى حبا فى صدر تاريخها

وتعاطفها عليه ، فكان ابنا بارا بها ثائراً لثورتها . متألما لمحنها . وعضدا لها إبان ضعفها ومصباحا لها فى إظلامها وهاديا فى تيهها ،

فالأزهر والقاهرة صنوان لا يفترقان لأنهما ، خلقا ليكونا رمز تاريخ مصر وعنوانا لهذا التاريخ .

فالقاهرة بأزهرها قلعة الخلود وقمة المجد وعظمة لا تدانيها عظمة فى الوجود . لأن الأزهر يعتبر بحق جامعة الشرق الكبرى وحصنا للثقافة به طوال عشرة قرون عاصرها ، كان أمينا فيها على التراث الإسلامى بشتى صوره ومجددا له بين جوانحه .

فإلى الأزهر. أقدم هذه الصفحات التى حوت بين سطورها سفرا خالدا لهذا البناء المتجدد مع الزمن المتطور مع كل عصر .

فهذه تحية أوردتها فى مناسبة نعتز بها ونفاخر بوجودها لأنها مناسبة لم تسنح لعصر من العصور التى سبقتنا . لأنها مناسبة ألفية (الجامع الأزهر).

عصر بناء الأزهر

الفاطميون بناة الأزهر :

لقد أرسى جوهر الصقلى قائد الجيوش الفاطمية فى مصر حجر أساس الجامع الأزهر فى ٢٤ جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ / أبريل سنة ٩٧٠ م .

ولقد صليت فيه أول جمعة فى ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ . . ولقد فرغ من بنائه فى ١٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ / ٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ . . بعد أن استغرق بناؤه عامين .

والكتابة عن العصر الذى بنى فيه الأزهر الشريف تجعلنا نذكر العهد العباسى و نتحدث عن العهد الأموى الذى استوطن فى بلاد الأندلس وعن العهد الفاطمى الذى نشأ فى شمال أفريقيا .

فالعباسيون فى بغداد لاشك أنهم أسدوا إلى المعرفة الإسلامية الكثير إبان القرن الثالث الهجرى . لأن فى عهدهم ظهرت الفلسفة الإغريقية[1] وعلوم الفلك والحساب والجبر ضمن العلوم التى كانت تدرس

---

[١] لم يكن المسلمون ـ وعندهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى حاجة مطلقا الى شىء من هذه الفلسفات فيما يتعلق بما وراء الطبيعة فعندهم الوحى فيه حكم مابينهم وخبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وهو الفصل ليس بالهزل من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى ـ ولكنه الترف العقلى . الإشراف الفنى

وازدهر فى عهدهم الشعر العربى ازدهارا رفع من قدر الشعراء لدى الخلفاء العباسيين .

والأمويون استولوا على حكم الدولة الإسلامية إبان جدهم معاوية . وأظهروا من خلال حكمهم أطماعهم فى السيطرة على المسلمين وبلادهم ، فمعاوية أول من حول نظام الخلافة فى الإسلام من شورى إلى وراثة ورثها ليزيد ابنه من بعده .

والأمويون أول من ناصب العداء للبيت العلوى . وأخذوا يسبونهم من فوق منابرهم كما أخـــذوا يبيدون نسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكل ما أوتى لهم من قوة وجبروت . حتى أصبح آل البيت يتخفون من بلد إلى بلد . . ويتكتمون شخصيتهم حتى لاينالهم سوء أو يلحقهم أذى . . واستمرت الدولة فى حكمها حتى ظهر العباسيون واقتلعوا الحكم من الأمويين . فهرب بعضهم إلى بلاد الأندلس وأسسوا هناك الدولة الأموية ، فأصبح الحكم العباسى فى بغداد يناهض الحكم الأموى فى الأندلس الذى بدوره بدأت تزدهر حضارته فى العمارة والبناء والأدب والعلوم والفنون .

ووسط هاتين القوتين المتصارعتين برزت الدعوة الفاطميـة . إلا أنه من الثابت أن كلا العباسيين والأمويين كانوا لايألون جهدا فى التنكيل بالفاطميين والشيعة . .

وفى العصر الذى بنى فيه الأزهر الشريف . . . قامت بشمال أفريقيا (دولة الأدارسة) التي تمركزت فى المغرب الأقصى (فاس).

دولة الأدارسة : (١٧٣ هـ ـ ٣٣١ هـ) .

قامت هذه الدولة فى بلدة فاس ، والأدارسة ينحدرون من نسل الحسن بن سيدنا على بن أبى طالب ، ولقد بدأت دعوة الأدارسة فى هذه المنطقة عندما توجه إدريس العلوى إلى المغرب العربى ونادى هناك بالإسلام بين القبائل البربرية المتباعدة ، فاستجاب لدعوته الآلاف الذين أسلموا على يديه واعتبروه إماما لهم ، ويقال ضمن عدة أقوال أنهم من طبقة الشيعة الزيدية لانتسابهم إلى زيد ابن على بن الحسين ، لكن من تتبعنا إلى أصل إدريس مؤسس هذه الدولة نجده من نسل الحسن بن على .

ظهور الفاطميين وإنشاء دولتهم :

الفاطميون كما هو ثابت تاريخيا هم من طبقة الشيعة ويتفرع نسبهم من إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق . . ولقد توفى إسماعيل عام (٤١٣ هـ). ويتأصل نسبهم إلى على زين العابدين ابن الحسين بن على .

والدعوة الفاطمية تتلخص ـ حسب الخط المذهبي الشيعى ـ فى المناداة بالولاء لآل بيت الرسول ﷺ .

وأخــذوا يدعون ضمن دعــوتهم أن الرسول قــد أوصى بالخلافة من بعدهم لسيدنا على زوج فاطمة ابنته ، لتكون متوارثة فيما بينه وبين أحفاده من بعده ، أى أن الإمامة لابد وأن تنتقل إلى الحسن من بعد سيدنا على ومنه إلى الحسين ، ثم إلى بقية آل بيت رسول الله ﷺ حسب التسلسل التاريخى المعروف .

وكانت هذه الدعوة موحدة فى أئمـــة الشيعة المتعاقبين حتى الإمام جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨ هـ .

دولة الفواطم :

لقد تحــول اسم الدولة العبيدية — لما استقرت لها الأمور فى شمال أفريقيا — إلى اسم الدولة الفاطمية أو دولة الفواطم . ولقد قصد العبيديون إلى إطــلاق هذا الاسم على دولتهم ولا سيما إبان عهـــد المعز لدين الله انتسابا إلى اسم السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ لأن لاسمها هوى فى نفوس المسلمين ولأن هذا الاسم يذكرهم بآل البيت النبوى . .

والدولة الفاطمية قد قامت على أنقاض الدولة العباسية ولاقت التأييد كله من دولة الأدارسة المجاورة لها . والمهدى لما استقرت له الأمور أقام مدينة جنوب تونس سماها (للمهدية) إشارة إلى اسمه

وبنى فيها حصنا بدأ يقوى من جانبه ففتح (صقلية) واستولى على (جنـوا) جنوب إيطـاليا . . واستولى الفاطميون ضمن الصراع التاريخى الطويل بينهم وبين القبائل فى شمال أفريقيا على كل المغرب وامتد سلطـانهم جل المنطقة حتى شمـال طرابلس وبرقة بليبيا . .
وطوال فترة وجـود الفاطميين فى شمال أفريقيا وهم فى حرب بينهم وبين القبائل الثائرة على حكمهم . وظلت هـذه الحرب ردحا طويلا حتى استطاعوا إخضاعها والسيطرة عليها .

وعصر المعـز لدين الله الفاطمى كان يعتبر بحق العصر الذهبى للدولة الفاطمية ، فلقد كانت راية حكمه ترفرف فوق بلاد المغرب ومصر وسـوريا وفلسطين والحجاز واليمـن وجـزيرة صقلية وجنوب إيطاليا .

الفواطم فى مصر :

لقـد أراد الفاطميون أن يتمركزوا فى عاصمة لهم تـكون فى منتصف العالم العربى كله ، فوقع اختيارهم على مصر لأنها تتمتع بأنها فى المنطقة البينية بين الأمة العربية .

فعلى هذا أرسل المعز لدين الله جيوشه إلى مصر بقيادة جوهر الصقلى ، ولقد استطاع هؤلاء الدعاة استمالة معظم المصريين وأمراء الدولة الأخشيدية ، لأن البلاد كانت تمر بأزمـة اقتصادية ضاربة ،

فكان المعز يعتبر المنقذ لها من هـذه الأزمة لأنه يتمتع بالثراء الفاحش ، كما روى لنا السيوطي وابن خلكان ، لأن الفترة التي سبقت مجيء المعز كانت مصر قدعانت من وباء الطاعون الذي تسبب في موت ما لا يقل عن نصف مليون شخص بها . وكان نظام مصر قد اختل حسب قول (الأتابكي) بعد موت كافور الأخشيدي . . لأن خليفته وهو : أحمد بن علي بن الأخشيد وكان صغيرا ، فصار حسب رواية (الأتابكي) ينوب عنه ابن عم أبيـه الحسين بن عبد الله بن طفيح والوزير جعفر بن الفـرات ، فقلت الأموال على الجنـد فـكتب جماعـة منهم إلى المعز لدين الله وهو بالمغرب يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصراً ، فجهز المعز أبا الحسن جوهر بن عبد الله بالجيوش والسلاح ، فسار جوهر حتى نزل بجيوشه إلى (تروجة) بقرب (الإسكندرية) . هــذا ما رواه الأتابكي لنا في كتابه : (النجوم الزاهرة) .

جوهر الصقلي في مصر :

يقال ضمن ما يقال عن جوهر الصقلي أنه سمى بالصقلي نسبة إلى أنه ولد في جزيرة صقلية وجلب منها ، وكان يلقب بالكاتب لأنه كان (سكرتيرا) للمعز قبل أن يتولى إمرة جيش الفاطميين .

ودخل جوهر الصقلي مصر القديمة في يوم الأربعاء ١٨ شعبان

عام ٣٥٨ هـ . وكانت تضم وقتها الفسطاط والقطائع والعسكر وأبعد جنوده عن الاتصال بالأهالى وأبعدهم عن العمران ، فلقد أوصاه المعز بأن ينشىء مدينة له تقهر الدنيا .

فعلى هذا أسكن جوهر الصقلى جيشه فى مدينة خاصة بهم تبعد عن مصر القديمة وسماها (المنصورية) نسبة إلى المنصور والد المعز .

وهذه المدينة أراد لها المعز أن تكون عاصمة للحكم الفاطمى وحاضرة لمصر ، إلا أن المعز لما أتى غير اسمها ، فسماها (المدينة القاهرية المعزية) ثم اختصر اسمها بعد ذلك إلى (القاهرة) .

والقاهرة سميت بهذا الاسم إشارة إلى أنها قاعدة انطلاق الفاطميين وإشارة إلى وحدة الأراضى الإسلامية فى ظلال الحكم الفاطمى .

ويقال أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى أن جوهر القائد عند ما شرع فى بنائها استعان بالمنجمين ليختاروا له النجم الذى ساعته تكون بداية وضع أساسها .

وقد تصادف وجود النجم القاهر (Mars) عند ما شرع فى بناء المدينة الجديدة فسميت بهذا الاسم إشارة الى هذا النجم .

والمعز لدين الله الفاطمى كان قد أوصى كاتبه وقائده جوهر الصقلى أن يبنى للمدينة الجديدة على غرار المدن الأندلسية .

ومهما كان أصل تسمية القاهرة فلا يهمنا هذا سوى أنه أكمل بناؤها واتخذت عاصمة للدولة الفاطمية فى مصر . . فمن ثم أراد جوهر أن يقيم جامعا للعاصمة الجديدة . . فبنى فيها مسجدا سماه (جامع القاهرة) ثم بعد قرن من بنائه حسب رواية (دودج) تغير اسمه إلى الجامع الأزهر .

ويقال أن المعز لما قدم إلى مصر كانت الدولة الفاطمية على قدر كبير من الثراء لدرجة أن المعز نفسه كان يصب الذهب أعمدة لقصره . ولما قدم الإسكندرية استقبله المصريون استقبالا رائعا . وكان معه خمسمائة جمل محملة بالذهب وكنوز الفاطميين .

ولما حضر المعز الى القاهرة : استقبله جوهر وركع على قدميه يلثم الأرض من تحت رجلى المعز الذى كانت دعوته تنص على أنه مختار العناية الإلهية التى اختارته لأنه من نسل الرسول ﷺ فهو ليس بملك سياسى ولكنه أمير المؤمنين .

والفاطميون لكون أن دعوتهم لاقت رواجا فى بلاد المغرب ومصر واليمن وكثير من البلدان الإسلامية . تعرضوا إلى ادعاءات المؤرخين وافتراء المغتربين على تاريخهم إرضاء للحكام من بعدهم .

لكن مهما قيل عنهم فهم حقيقة من آل البيت ولو كانوا خلاف

ذلك خفتت دعوتهم ضمن نطاق التناطح التاريخي بين العباسيين والأمويين والفاطميين أنفسهم .

فمهما يقال عن بناء القاهرة والجامع الأزهر فإن عمرو بن العاص عندما أتى مصر بنى فيها الفسطاط وجامعه : وعندما تولى أحمد بن طولون حكمها بنى مدينة القطائع وبنى فيها الجامع فأصبح التحدث عن العصر الفاطمي هو الحديث عن سمة هذا العصر الذي يتميز بإنشاء القاهرة وإنشاء الجامع الأزهر الشريف .

لكن من الثابت تاريخيا كما روى عن أئمة المؤرخين للعهد الفاطمي بأنهم أكدوا فيما روى عنهم أنه سمي أزهرا نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول التي كان الفاطميون ينتمون إلى نسبها .

فلذا بنوه في عهدهم وكنفهم .. فلقد كان يسمى حتى زمن المقريزي جامع القاهرة أو الجامع الأزهر .

وكان يطلق على جامع عمرو بن العاص المسجد العتيق أو تاج الجوامع أو المسجد الجامع .

تسمية الجامع الازهر

يقال ضمن ما يقال حول تسمية الجامع الأزهر أنه سمى نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء البتول بنت الرسـول ﷺ وأم الحسن والحسين سبطا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

ويقال أنه سمى بالجامع الأزهر نسبة إلى أن الفاطميين اقتبسوا كلمـة (الأزهر) من كلمـة : (الزهراء) التى كانت تطلق على قصور الأمويين فى بلاد الأندلس ـ الذين كانت حاضرتهم قد أطلقوا عليها الزهراء وقصر خلافتهم سموه أيضا بالزهراء ـ فسمى الفاطميون قصر خلافتهم الزهراء وأطلقوا على جامعهم الرسمى الجامع الأزهر كما أنهم أطلقوا على قصورهم القصور الزاهرة .

وحقيقة تقال أيضا أن تسمية الجامع الرسمى للدولة الفاطمية بالأزهر لا يعرف أسبابها أو مردها على وجه التحديد .

لـكن يقال فيما قيل أنه سمى كذلك ، لأن الفاطميين إبان عهد المعز بنوا عدة جوامع أخرى بالقاهرة .

فلو قيل جامع القاهرة ـ كما سمى من قبل ـ قد يلتبس الأمر وقد يظن أن المقصود أى جامع آخر من جوامعها .

فسمى بالأزهر لأنه يزهر عليهم جميعا ويكبرهم حجما ولكونه كان الجامع الرسمى للدولة الفاطمية ؛ فلذا كان يضاء فى ليالى الأعياد الرسمية .

ويقال أن تسميته بالأزهر وجدت ارتياحا عند الفاطميين أنفسهم لأنه يقرب من اسم (الزهراء) فاطمة البتول التى ينحدرون من نسلها .

وقيل أيضا .. أن تسمية هذا الجامع العتيق بالأزهر إشارة إلى كوكب (الزهرة) الذى كان مزمعا إطلاق اسمه على القاهرة نفسها .. بيد أن الفواطم كان يراود تفكيرهم اسم الزهراء ليطلقوه على مدينتهم .

ويقال أن هذا الجامع سمى باسمه لأن القصور التى كانت تحوطه فى مدينة القاهرة كانت زاهرة وكان بناؤه زاهرا فى وسط هذه القصور .

ويقال إنه سمى أيضاً بهذا الاسم تفاؤلا بما سيكون عليه من شأن عال بإزهار العلوم فيه .

الهدف من بناء الجامع الأزهر

عندما دخل عمرو بن العاص مصر أنشأ جامعا باسمه ولما دخل أحمد بن طولون بنى له جامعا سماه باسمه . . والمعز أمر جوهر الصقلى أن يبنى جامعا خاصاً أبان العهد الفاطمى . . ليكون هذا الجامع مباحا فيه للمناداة بالمذهب الخاص بهم فى مصر ويكون خاصا بدعوة الفواطم ومقصورا على مذهبهم تحاشيا لاتخاذ جوامع أهل السنة للدعوة لمذهبهم وحتى لا يفاجئوهم بمذهبهم الجديد .

فالأزهر كان جامعا بمعنى ما كانت عليه رسالة الجوامع فى الإسلام فكان يعتبر (برلمانا) تعقد فيه الجلسات النيابية ليتدارس فيه أعيان مصر المشاكل التى كانت تواجههم ويبحثوها فى أروقته . وكان جوهر يجتمع بالمسلمين فيه يوم الجمعة ليحدثهم عن أمور الدنيا والدين وكان يعلن على الناس فيه الأوامر الصادرة من الحاكم بخصوص رفع الضرائب أو الأوامر التنظيمية للدولة الجديدة .

وكلمة جامع معناها . . المكان الذى يجتمع فيه الناس، وهذا يختلف فى معناه عن كلمة المسجد التى معناها مكان السجود والعبادة وعلى هذا نرى أن كلمة (الجامع) أشمل وأعم .

فجامع الأزهر كان الهدف من إنشائه الاتجاه إلى عدة اتجاهات دينية وثقافية .

فهو كان ملتقى الشيعة يتدارسون فيه أصول مذهبهم ويخدم أيضا حسب الرسالة التى كانت تقدمها الجوامع فى عصر بنائه وحسب رسالة الجامع أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته رضى الله عنهم.

وعلى هذا كان الهدف الأساسى من بناء الجوامع فى مصر والدول الإسلامية .

فجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون كلاهما كان للعبادة والتعلم وتحصيل الثقافة الإسلامية .. وكلاهما كان فى مصر القديمة .. وعلى هذا اتجه الحكم الفاطمى إلى الأزهر ليترسم سياسة الدولة الفاطمية الجديدة بمعناها الدينى والسياسى . وأصبحت الدراسة به يغلبها الصبغة الدينية واللغوية والمنطق علاوة على دروس فى الحساب والهندسة والجبر والفلك . وظلت هذه الدراسة متداولة فى أروقته وصحنه عدة عصور تعاقبت عليه .

لجامع الأزهر كان الهدف من بنائه كما يقول دودج (Dodge) فى كتابه عن (الأزهر) :

كان يعنى بدراسة العلوم الإسلامية والفلسفية فنهج جوهر عند انشائه هـذا المنهج نظام جامعى عمرو بن العاص وأحمد بن طولون فى عصره .

فعلى هذا أصبحت القاهرة الجديدة تطل على العالم الإسلامى من خلال منارتها الحية ومن خلال (الجامع الأزهر) الشريف .

فى الفاطميين انتمى ينبوعــه

عذب الأصول كجدهم منفجراً

عين من الفرقان فاض نميرها

وحيا من الفصحى جرى وتحدرا

(شوقى)

تشييد وبناء الأزهر

لقد كانت العمارة إبان العصر الفاطمى آية فى الجمال والروعة . وكانت تتسم بالدقة والإتقان والإبداع وكانت متأثرة إلى حد كبير . بفن العمارة فى المغرب والأندلس . فيقال إن الفاطميين عند بنائهم للجامع الأزهر كانوا متأثرين بمسجد عقبة بالقيروان والزيتونة بتونس ولقد كان الجامع يحتوى على محل مسقوف يسمى بالمقصورة والمحل الغير مسقوف يسمى صحن الجامع الأزهر . والمقصورة كما بناها جوهر الصقلى تنقسم إلى قسمين :

للمقصورة الأصلية الكبيرة التى أنشأها جوهر وهى تتكون من ٧٦ عموداً من المرمر الأبيض .

والمقصورة الجديدة التى قام بإنشائها الأمير عبدالرحمن كتخدا سنة ١١٦٧هـ وهذه المقصورة تتكون من خمسين عمودا من الرخام .

فعلى هذا الحساب يكون عدد الأعمدة التى تتكون منها المقصورتان ١٢٦ عمودا من ٣٧٥ عموداً جملة أعمدة هذا البناء الشامخ .

وأرضية المقصورة الجديدة ترتفع عن مستوى المقصورة القديمة بحوالى نصف ذراع أى يكون فى جملته درجتين . وللمقصورتان

سقفاهما من الخشب الدقيق الصنع . وبهما عـدة ملاقف لجلب النور والهواء .

وصحن الجامع الأزهر يسلك منه إلى المقصورة القديمة من ثلاثة أبواب وله أرضية من الحجر . وكان يجلس فيـه الطلاب فى الشتاء ليستدفئوا بالشمس ولا سيما فى الأيام التى يشتد فيها البرد . وفى الصيف كانوا ينامون فيه من الحر ، وعندما تزدحم المقصورتان يصلى المصلون فيه .

والجامع الأزهر له خمس مآذن كان يؤذن عليها خمسة من المؤذنين . وهؤلاء كانوا يؤذنون فى وقت واحد .

والجامع مساحته الحالية حوالى ١٢ ألف متر مربع . وهـو محـاط ببوائك مقامة على أعمدة من الرخام كتب على حوائطها الأربعة الآيات القرآنية بالخط الكوفى

والجامع الأزهر به زخارف جصية كثيرة على غرار الزخارف الجصية التونسية والأندلسية وانتشرت هذه الزخارف على واجهة الجامع لتعبر عن الذوق المتأصل فى فن العمارة .

والمحاريب بالجامع الشريف كان عددها عشرة لم يبق منها سوى ستة محاريب أهمها المحراب الأصلى . والمحراب الجديد فى المقصورة القديمة وكان ـ قديما ـ لكل محراب من هذين المحرابين إمام . أحدهما يخص المذهب الشافعى والآخر يخص المذهب المالكى .

وكان للأزهر (ميقاتى) ليحدد مواعيد الصلاة للمؤذنين .
ويقول المقريزى عن الأزهر بأن : منارانه كانت توقد أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة فى المواسم والأعياد . وجعل الخليفة فى قصره منظرة يقعد بهـا لمشاهدة الزينة وسميت باسم (منظرة الجامع الأزهر) .

وللجامع تسعة أبواب أشهرها باب المزينين[1]. وكان إبان العهد الفاطمى فوق المحراب الأصلى قبة فاطمية الطراز لها قاعدة مربعة ذات شبابيك فى الواجهة الغربية . وكانت على طراز قبة البهو لجامع الزيتونة بتونس . والقبة مقرنص يتكون من طاقة واحدة وشيد عليها الحاكم بأمر الله زخارف وكتب على سقف القبة بالآزار الكوفى .

وبالجامع كان يوجد محراب المعز لدين الله وكانت عليه نقوش وزخارف أندلسية على شكل محاريب ، وفوق المنبر كانت قبة كتب عليها : (بسم الله الرحمن الرحيم) مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة .

---

[1] تسمية مأخوذة من الزينة .

والكتابة كما وصفها المقريزى كانت بدائرة القبة ناحية يمين المنبر والمحراب وهذه الكتابات لا وجود لها الآن لأنها أزيلت مع زوال هذه القبة .

والمنبر كان يوضع فى حجرة خاصة به ويجر على عجل ليحمل فى صلاة الجمعة والعيدين وهذه كما يقال سنة أخذت عن جوامع المغرب .

وفى عهد الحاكم بأمر الله أقام بعض البنايات بالجامع وقام بإضافة بعض النقوش والزخارف فى عهده ، وأنشأ المسجد محرابا خشبيا جديداً ومتنقلا ، يعلوه لوحة من الخشب كتب عليها (بسم الله الرحمن الرحيم) « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين » أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر سيدنا المنصور أبو على الإمام الآمر بأحكام الله) .

ولقــد شيد العزيز بالله بجوار الجامع الأزهر دار الجماعة العلماء ليجتمعوا فيها حتى صلاة العصر ... والحافظ لدين الله من حكام الأسرة الفاطمية عام (١١٣٠ م ـ ١١٤٩ م) أنشأ المقصورات الفاطمية بالجامع الأزهر والعقود الموجودة حول الصحن والقبة التى برأس المجاز وفيه مقرنص وزخارف وكتابات القبة وكلها كوفية عليها آيات قرآنية من ســورة (يس ، وآية الكرسى) .. والفاطميون قد أنشأوا الإيوان الشرقى بالجامع .

وإبان العهد الأيوبى نقل صلاح الدين من محراب الجامع الأزهر المنطقة الفضية التى كان وزنها حوالى خمسة آلاف درهم نقرة . لكن رغم هذا فالجامع قد شملته بعض الزيادات عام١١٩٣م على يد محتسب القاهرة الذى أزال ما حوله من بيوت ومبانٍ .

والأيوبيون رغم جمودهم بالنسبة للأزهر إلا أنهم عنوا بالثقافة عن طريق إنشاء مدارس لهم تخصهم .

وفى عهد المماليك البحرية كان للسلطان (بيبرس) المملوكى أثره فى العناية بالجامع الأزهر الشريف ، فقام بتعميره وعمل له منبرا جديداً ولما أتم تجديده قام باحتفاله بهذا العمل فى رحاب الأزهر ليجدد شبابه بعد الفترة الطويلة التى مرت به .

وفى عهد المماليك الشراكسة وضع الأمير الطواشى بهادر مقدم المماليك السلطانية حجرا رخاميا على الباب الكبير البحرى نقش عليه وقفيته ١٣٨٤ م والمرسوم الصادر من الملك الظاهر برقوق لتؤول ثروته إلى الجامع .

وفى سنة (١٣٠٩ م - ٧٠٩ هـ) أنشأ الأمير علاء الدين الطيبرس الخازندارى - نقيب الجيوش - المدرسة الطيبرسية إبان عهد السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) ، والمدرسة الطيبرسية كانت فى الأصل خارج الجامع الأزهر ولكن كان لها نافذتان تطلان على الجدار الغربى لصحن الجامع وهى اليوم تدخل ضمن نطاق المبنى

الرئيسى له، وطيبرس كان يهدف من بناء هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعى والتصوف بها، ولتكون هذه المدرسة مسجداً، وكان بها مكتبة ومحراب من الرخام الدقيق الصنع المزخرف بأشكال محاريب محمولة على عمد رخامية ... وبالمدرسة ما زال يوجد بها قبر الأمير طيبرس الذى لما أتوا إليه بحساب بناء المدرسة ليراجعه، أمر بإحضار (طشت) به ماء وغسل الكتابات المدون عليها هذه الحسابات وقال: (شيء خرجنا منه لله تعالى لا نحاسب عليه).

وإبان عهد السلطان (قلاوون) عام ١٣٤٠م - ٧٤٠هـ بنى الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد الذى كان استادارا (رئيس الخاصة السلطانية) المدرسة الاقبغاوية (مكانها الآن مكتبة الجامع الأزهر الحالية) التى تعتبر مبنى ملحقا بالجامع مقابلا للمدرسة الطيبرسية ليكون مدرسة وكانت لها نوافذ تطل على صحن الجامع.

ولقد كان (أقبغا) شقيق زوجة السلطان وكان يهدف من بناء مدرسته أن يدرس بها الفقه الشافعى والحنفى ولقد كان على شمال الباب الرئيسى ميضاء أزالها ليبنى مكانها مدرسته.

والأروقة فى الجامع عنى بإنشائها سلاطين المماليك لتضم الطلاب الوافدين من مختلف العالم الإسلامى .. وكل رواق كان يخص مجموعة من الأفراد، وهذه أروقة الطيبرسية والاقبغاوية والأكراد، والهنود، والبغداديين، والمغاربة، والجاوه، والشوام،

والدكارنة ، والصمايدة ، والبرابرة ، والشراقوة ، والحرمين .

وفى عهد الملك الأشرف «برسباى» أنشأ الأميرجوهر القنقبائى الخازندار (رئيس بيت المال) المدرسة الجوهرية التى كانت تتكون من أربعة إيوانات ، وكانت هذه المدرسة تقع قرب باب السر بالجامع الأزهر ناصية الطرف الشرقى البحرى للإيوان الشرقى للجامع .

وفى سنة (٧٠٢هـ - ١٣٠٢م) هدمت بعض أجزاء من الجامع نتيجة لتعرضه لزلزال شديد اجتاح مصر فأمر الأمير «سلار» من دولة المماليك البحرية بإعادة بناء هذا الجامع الشريف وعمارته بالزخارف الجصية على الطراز الأندلسى ، وفى سنة ١٣٦١ م أزيلت من الجامع - كحركة توسعية له - بعض المقاصير والصناديق والخزائن التى كانت تزحم الجامع فتوسع من الداخل وأنشئ به سبيل وكتاب على الباب القبلى .

وفى عام ١٣٥٩ م أمر السلطان الحسن الأمير سعد الدين بشير الطواشى كما جاء فى خطط المقريزى أن يطلى جدران الجامع باللون الأبيض وبنى خزانا المياه وسبيلا ، وفوق الجامع بنى حجرة للأيتام الذين يتعلمون القرآن، وأمد هؤلاء بالمصاحف وخصص لهم المدرسين ليعلموهم ، وبنى مطبخا ليطبخ الطعام فيه للطلبة يوميا وأثثت المفروشات بالجامع وأنشئت أروقة للفقه الحنفى قبل أن يتولى المماليك البرجية الحكم فى مصر .

وفى عام ١٣٤٠م بنيت ميضأة جديدة ثم بنى بعدها عام ١٤٠٨م ميضأة ثانية .

وفى عام ١٤٤٦ م كما يقول كريزويل (Croswell) جددت أعمدة الجامع ولمت ، أما الجدران بجوار المحراب فلقد وجددت دهنت .

وفى عام ١٤٦٩م بنى السلطان (قايتباى) بوابة بين المدرسة الطيبرسية والاقبغاوية عند نهاية المدخل ، ولقد خصص عشرة آلاف من العملة الذهبية للإصلاحات بالأزهر عندما حضر إلى الجامع على حصانه ومعه القضاة فوزع ألفا من العملة الذهبية على الأهالى القائمين بالجامع الفارين من الطاعون الذى كان منتشرا فى هذه الفترة .

ولقد كان (قايتباى) مهتما بالأزهر لدرجة أنه كان يأتى إليه باستمرار ويجتمع فيه مع الأهالى والعموم وكان يسألهم عن أحوالهم وعن سياسته معهم . حتى مرض عام (١٤٤٧ م) بدمشق فكان الناس يقرأون مع القضاة صحيح البخارى والقرآن لينجو[1] من مرضه .

وفى عام (١٠٦٧ هـ / ١٧٥٣ م أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخدا المقصورة الجديدة بالجامع وهى تتكون من خمسين عمودا من الرخام خلف المحراب القديم ، وفى عهده اتسع هذا الجامع بمقدار النصف تقريبا .

[١] هذه العادة يمكن تفسيرها نفسيا بأنها إشاعة الشعور بالخير الذى يأمله الإنسان ويرجوه دائما ، ولعل فى العبادات النفسية شبه قرب بمثل هذه العادة التى يقصد بها عبادة الله جل شأنه .

ولقد أنشأ الأمير كتخدا أيضا الباب العمومى المزدوج للجامع حيث كان على يمينه للمدرسة الطيبرسية والرواق العباسى وعلى يساره المدرسة الاقبغاوية ومكتبة الأزهر وبين المدرستين أنشأ السلطان قايتباى بابا ..

وفى العهد العثمانى أنشأ الوزير أحمد باشا « كور » مزولتين من الرخام للجامع . إحداها وضعت على الواجهة الغربية للصحن والثانية كانت على سطح المسجد ، لأن أحمد باشا كور كان مهتما بذلك وبالعلوم الفلكية لدرجة أنه أراد أن يدخل هذه العلوم ضمن العلوم التى تدرس بالأزهر . وهو الوالى الوحيد فى العهد العثمانى الذى أراد التطوير لهذا الجامع العتيق .

الأمراء الذين حكموا مصر كانوا لا يدخرون وسعا فى العناية بإنشاء الأروقة وتجديد الجامع . وكانت هذه الأروقة تخص سكنى المجاورين[1] للأزهر حيث كان ملحقا بها حياض للغسيل والوضوء . وهذه الأروقة تحولت بمرور الوقت إلى حجرات وقسمت إلى (صالات) وأصبحت هذه الأروقة لها أسماء، كالرواق الهندى والشامى والمغربى والأفغانى .. الخ .

وفى عام (١١٤٨هـ / ١٧٣٥م) أنشئت زاوية للعميان ليتدارسوا

[١] المجاورين : مشتق من المجاورة وهى ملازمة المريد لشيخه والتى يعبر عنها حديثا بالروح الجامعية . الإشراف الفنى

بها . ولقد أنشأ هـذه الزاوية الأمير عبد الرحمن كتخدا خارج الجامع أمام المدرسة الجوهرية . وهـذه الزاوية كانت عبارة عن ثلاث حجرات، ولها أربعة أعمدة رخامية وبها محراب وميضأة ومغطس . وكانت قاصرة على العميان ولم يكن يتولى مشيختها سوى كفيف . لـكن هـذه الزاوية هدمت .

ولقد أضاف الأمير كتخدا أروقة كالرواق التركى والرواق السليمانى .. وكانت تغدق على الأروقة الأموال والعطايا .

وللجامع ستة أبواب أشهرها باب (المزينين) الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا ونقشت على واجهته نقوشا مموهة (١١٦٧هـ) ضمن عمارته للمسجد .

وعلى الباب نقشت هذه الأبيات بالذهب[1] :

إن للعلم أزهرا يتسامى ... كسماء ما طاولتها سماء

حيث وافاه ذا البناء ولولا ... منة الله ما تسامى البناء

رب إن الهدى هداك وآيا ... تى نور تهدى به من تشاء

مذ تناهى أرخت باب علوم ... وخيار به يجاب الدعاء

---

[١] وهذا مما يؤيد أن تسمية باب المزنيين جاءت من الزينة التى كانت توضع فى المناسبات .

الإشراف الفنى

فالأزهر قد بنى فيه الحكام والأمراء الذين تتابعوا عليه، ومنهم السلطان قايتباى والسلطان قانصوه الغورى والأمير عبد الرحمن كتخدا . فكانوا لا يدخرون وسعا فى إنشاء الأروقة به وتوسعته والعمل على زخرفته حتى أصبحت مساحته الآن ٢٦ر٢٣٣ ذراعا أى حوالى ١٢٠٠ متر مربع .

الشعائر الدينية بالأزهر

لقد أقيمت أول صلاة بالجامع الأزهر عندما توجه المعز لدين الله الفاطمي إليه لصلاة عيد الفطر عام (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) حيث ألقى المعز خطبة العيد وكانت خطبة باهرة بإجماع المؤرخين.

وصلاة الخلفاء الفاطميين وغيرهم كانت لها مراسيم تتبع كما بينها العلامة (تغرى بردى الأتابكى) فى كتابه: (النجوم الزاهرة فى أخبار مصر القاهرة) من أنه (إذا أراد الخليفة أن يخطب يتقدم متولى خزانة الفروش إلى الجامع ويغلق المقصورة التى يرسم الخليفة والمنظرة وأبواب مقاصيرها).

والخطب التى كانت تلقى بالجامع عند إنشائه كان يلقيها الحكام الفاطميون بأنفسهم، وكانوا يؤمون الناس فى الصلاة عقب الخطبة. ويروى «الأتابكى» من أن خطبة الجمعة «كانت تلقى بالأزهر حتى إنشاء الجامع الحاكمى عام ٣٨٠ هـ فأصبح الحاكم يلقى الخطبة فى أربعة جوامع هى:

الجامع الأزهر.

وجامع ابن طولون.

والجامع الحاكمى.

وجامع عمرو بن العاص.

فكان الخليفة فى الجمعة الأولى من شهر رمضان لا يصلى بالمساجد الثلاثة . ولذا كانت تسمى (جمعة الراحة) ثم يصلى الجمعة الثانية فى مسجد الحاكم والثالثة كانت فى الجامع الأزهر والرابعة فى جامع عمرو بن العاص ..

وكانت صلاة الخلفاء بالأزهر لها مراسيم خاصة فكان صاحب بيت المال يشرف على شئون الجامع صبيحة حضور الخليفة إلى الجامع فى صلاة الجمعة أو العيدين فكان يقوم الفراشون بفراشة المسجد بالفرش وكان قبل وصول الحاكم الفاطمى يحضر قاضى القضاة فى الصباح ليبخر القبة التى سيقف تحتها الخليفه ليخطب الجمعة أو العيد .. وكان يبخر ذروة المنبر الذى سيقف عليه بمبخرة جميلة .

والخليفة المعز لدين الله كان يسير فى موكبه بعظمة وبهرجة متجها إلى الجامع عند الصلاة .. وهذا الموكب كان له صدى فى المصريين الذين كانوا يخرجون من بكرة أبيهم ليشاهدوا الخليفة وموكبه الباهر ..

ولقد كان المعز يرتدى الملابس البيضاء والخالية من أى ذهب أو قصب احتراما للصلاة مرتديا العمامة البيضاء من الحرير الرقيق ..

والموكب الرسمى كان يبدأ من باب الذهب فى القصر وكان الخليفة يخرج على حصانه وبيده قضيب الملك يتبعه الأتباع والأمراء

على خيولهم المطهمة وعليهم دروعهم وهم جميعا يرفعون أصواتهم بقراءة آيات من القرآن وقرع الطبول ورن الصنوج وكان الشعب يتبع هـذا الموكب الرائع .

والمسجد قبل مجيء الخليفة كان يعد لاستقباله استقبالا رسميا ، فكان يمنع من دخوله إلا لكبار رجال الدولة الفاطمية والأعيان والخاصة ، وكان بالجامع ثلاث طنافس دبيقية أو سامانية بعضها فوق بعض تعلوها حصيرة ورثت كما يقال عن الإمام جعفر الصادق وكان على جانبي المنبر ستران ، على الستر الأيمن دون بالحرير الأحمر وبخط واضح البسملة والفاتحة وسورة الجمعة ، وعلى الستر الأيسر دون بالحرير أيضا البسملة والفاتحة وسورة المنافقون ، وكانت الكتابة على السترين واضحة ليسهل على الخليفة قراءة ما عليهما عندما يؤم المصلين .

وعندما يصل موكب الخليفة إلى الجامع كان يدخل من (باب الخطابة) ليدلف إلى (قاعة الخطابة) حيث كان يستريح قليلا بها ، أو يجدد وضوءه فيها ، وبعدها يؤذن لصلاة الجمعة ويدخل قاضي القضاة في حضرة الخليفة مقرئا عليه (السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله) ، فيهم يحفه الخليفة ، ويخرج يحفه (الأساتذة المحنكون والوزير والأمراء والحرس الخاص ، أو كما بين لنا المقريزي من أن الخليفة كان يستمر

فى مسيره حتى يأخذ مكانه تحت قبــة المنبر ويقف الوزير على بابه ووجهه للخليفة فإذا أشار إليه صعد وقبل يديه وزر الستربن عليه وكذلك يكون المنبر والقبة أشبه بالهودج ثم ينزل الوزير وينتظر على باب المنبر ليستقبل الخليفة عند نزوله ويـكون بمثابة ضابطا للمنبر ، وكان الخليفة يخطب خطبته وهــو خلف الستر من ورقة مـكتوبة بواسطة كاتب من (ديوان الإنشاء) بالقصر ، وكانت الخطبة تكتب قصيرة ورسمية فى أسلوبها، وكانت تشتمل على آية من القرآن الكريم، والصلاة فيها على النبي وعلى آل بيته وعلى بن أبى طالب وأولاده وأحفاده وكان الخليفة يعدد فى الخطبة المآثر عن نفسه وآل بيته ثم يقرأ من ســورة النمل ، قوله تعالى :

« رب أوزعنى أن اشـكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »[1] . صدق الله العظيم.

وكان الخليفة يردد فى خطبته الدعاء لنفسه بقوله: «اللهم أنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ، (ولو كنت أعلم الغيب لاستـكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) » .

وكانت الخطبة موجزة وبليغة ، وكان الخليفة فى نهايتها يدعو

---

[١] الآية ١٩ من سورة النمل .

الإشراف الفنى

فيها لوزيره وللجيش بالنصر وللجنود بالظفر ، وكان ينهى الخطبة بكلمة (اذكروا الله يذكركم) ، فيصعد بعدها الوزير ثانية ويفك التزرير عن الخليفة فى هودجه ويرجع القهقرى فيتوجه الخليفة للمحراب ليؤم المصلين ويقف إماما ثم يقف خلفه الوزير وقاضى القضاة فى صف واحد ثم يتبعهما الأمراء وكبار رجال الدولة .

ثم يبدأ الخليفة الفاطمى الصلاة بقراءة ما على الستر الأيمن من المحراب، وفى الركعة الثانية يقرأ ما على الستر الأيسر منه ،وكان المعز يصلى بقراءة الفاتحة وسورة الجمعة ، ثم يكبر ويطيل الركوع والسجود ويسبح فى كل ركعة وسجدة ثلاثين تسبيحة ، وفى الركعة الثانية كان يقرأ الفاتحة وسورة الضحى ثم يكبر ويطيل الركوع والسجود،ويسبح فى كل ركعة وسجدة ثلاثين مرة ، وبعد أن يفرغ من الصلاة كان يصعد على المنبر ثم يسلم على الناس يمينا وشمالا بقوله: (السلام عليكم ورحمة الله) حتى تنتهى الصلاة .

وكان يخرج الخليفة وعن يمينه الوزير وعن يساره كان يخرج قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وحولهم جميعا كان يخرج الحرص الخاص بالخليفة ، وكان الخليفة قبل أن يخرج يخلع المطايا على المؤذنين وخدم الجامع والإمام ، وبعد الصلاة كان يذاع (سجل البشارة) الخاص بركوب موكب الخليفة ، وهذا هو نص البشارة لصلاة

جمعة رمضان أو صلاة العيد (لم يزل غامر كرم الله وفضله يفوز حاضره ما كان من قبله ، فنعمة الله سابغة ومنته متتابعة وملابسها ضافية ومغارمها نامية وسحائبها هامية وهو يضاعفها على من صلى وصام ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصال لها ولا انفصام ويجدد من ذلك ما كان من بروز مولانا وسيدنا الإمام (يكتب اسم الخليفة) صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين يوم الجمعة (أو يوم العيد) من رمضان سنة (يذكر السنة الهجرية) فى شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه إلى الجامع الأزهر وعساكره قد تجاوزت الحد وكثرت عن الإحصاء والعد ، فإذا تأملها الطرف انقلب عنها خاسئا وارتد ، ولما وصل إلى الجامع المذكور خطب فأورد من القول أحسنه ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه ، وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها وعاد إلى قصوره الشريفة وقد شملت البركات برؤيته ودفعه عن عمل بموعظته ونجا من اقتدى به فى صلاته واستولى على السعد من جميع أرجائه وجهاته ، أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فأشكر الله سبحانه بمقتضاه وأعتمد تلاوة هذا الأمر على رءوس الأشهاد) .

شئون الأزهر وطلابه

لقد وقف الفاطميون على الجامع الأحباس ومعهم كبار رجال الدولة الفاطمية ، فلقد كان الأزهر تقدم له الأعطيات ومال النجوى[1] كما بينه لنا المقريزى فى خططه ، وكان هذا النصيب يدفعه المستمعون لمجالس الدعوة التى تعقد بالجامع الأزهر ، فكان داعى الدعاة يجمع النجـوى من المؤمنين والمؤمنات وكانت ثلاثة دراهم وثلثا ، وكان الذى يدفع أكثر ، يعطى ورقة من الخليفة مدون عليها (بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك) وكانت هذه الأموال ينفق منها على الدعاة وما بقى كانت تخصص للإنفاق منها على الجامع نفسه وعلى الطلاب الذين يرتادون حلقات الدروس به .

وكان للجامع إبان العهد الفاطمى فقيها يتولى الخطابة فى صلاة الجمعة بين يدى الخليفة أو نائبه ، وكانت الخطابة حتى أواخر العهد الفاطمى تسند إلى داعى الدعاة ليتولى تنظيمها ، لكن شئون الأزهر من الناحية الدراسية والعلمية وتعيين الأساتذة ومرتباتهم وشئون الطلاب ، كان يرجع فيها للخليفة الفاطمى مباشرة ، أو إلى نائبه . وهذا يبين العناية الفائقة التى كان الفاطميون يولونها إلى هذا الجامع العتيق إبان عهدهم .

[١] لعله تبرك بما يشير إليه القرآن الكريم : « فقدموا بين يدى نجواكم صدقة » ١٢ المجادلة . الإشراف الفنى

ولقد كان الحاكم بأمر الله معنيا بالثقافة الإسلامية فى هذا الجامع لدرجة أنه جعل (دار الحكمة) فى خدمة الحركة الثقافية فى الجامع الأزهر، فنقل معظم كتبها إلى الجامع لتوضع فى المكتبة الثقافية التى كان المعز قد أنشأها وأودع بها مجلدات ضخمة فى الفقه والنحو واللغة والعلوم الأخرى.

ولقد كان الفاطميون يعنون بالأزهر عناية فائقة لأنه جامعهم وهو رمز لعهدهم القائم، وكانوا يخلعون على الإمام العطايا والهدايا وكانوا يقيمون موائد الطعام فى الجامع طوال شهر رجب وشعبان ورمضان وكانت موائد الإفطار تقدم لكل شخص يفد إلى الأزهر إبان الشهر المعظم.

والخلفاء الفاطميون وما بعدهم كانوا يوقفون الوقفيات على هذا الجامع لينفق منها على شئونه، وللإنفاق منها على الفرش بالجامع الأزهر الذى كان يعد المركز الرسمى للاحتفالات الرسمية والاحتفال بيوم عاشوراء . . . الخ

ولما بدأ يعقوب بن كلس عام (٣٧٨ هـ) فى تدريس أصول المذهب الإسماعيلى طلب من العزيز بالله بن المعز أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس، ولحضور الندوات التى كان يعقدها ويكونون نواة للدعاة فى مصر.

فبنى العزيز لهم دارا بجوار الجامع لسكناهم وخلع عليهم جرايات ورواتب شهرية ، وكانت أول دفعة بهذا النظام الجديد عددها (٣٧) شخصا من بينهم أبو يعقوب القاضى ، كما صرف لهم العزيز بالله البغال[1] لتحملهم تكريما لهم فى تنقلاتهم .

وفى العهد الأيوبى عطلت الصلاة فى الجامع الأزهر ، ولا سيما إبان عهد صلاح الدين (٥٦٧ هـ) ليقلل من أهميته بالنسبة لكونه كان المقر الرسمى الدينى للدولة الفاطمية ، فعلى هذا نجد أن صلاح الدين قلد منصب القضاء للقاضى صدر الدين بن درباس الشافعى الذى أفتى بعدم إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، فمنع الخطبة من الجامع الأزهر وقتها (قبل الاتساع الأخير) ، فعطلت خطبة الجمعة مائة عام فيه حتى أتى السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ) وأعاد الخطبة فى الجامع الأزهر الشريف يوم الجمعة (من ربيع الأول ٦٦٥ هـ) ، وعزل القاضى الشافعى ونصب بدلا منه قاضيا حنفيا ، وأعاد للأزهر أوقافه المنهوبة لينفق منها على شئونه ، واحتفالا بعودة الصلاة فى الجامع الشريف وقف الأمكاير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطان الأوقاف لقراء الفقه

---

[١] شعر المسئولون قديما بحاجة علماء الأزهر إلى وسائل النقل التى تيسر لهم الرحلة إلى تبليغ الدعوة ، فقدموا البغال والخيل لأنها كانت الوسيلة الممتازة فى ذلك العصر ... الإشراف الفنى

والحديث فى الجامع ، وفى عهد الملك الظاهر برقوق أصدر مرسوما بأن كل من يموت بلا وريث تؤول ثروته إلى الجامع للإنفاق منها على المجاورين للأزهر .

ومما يؤثر عن المماليك الذين جلبوا من أواسط آسيا أنهم كانوا فرسانا للملك الأيوبى . ولقد تخصصوا فى الأسلحة والخيالة وكانت عربيتهم سطحية العمق لولا الأزهر ونشاطه ، ولولا الظاهر بيبرس المملوكى لكان الأزهر قد تعرض لهزة علمية وفكرية .. قد كانت كفيلة أمام سيطرة المماليك أن تقصم ظهر هذا الطود الأشم . فبيبرس مسئول عن استعادة الأزهر لنشاطه وبعث الحياة فيه .

وفى عهد المماليك البرجية أول من تولى منهم الحكم هو السلطان البرقوقى عام ١٣٨٤ م وكان مملوكا قد جلب من آسيا الصغرى من القوقاز ، وسمى هؤلاء بالبرجية لأنهم كانو عبيدا مماليك يقومون بحراسة القلعة على الأبراج بها ، وبأبراج القصور فى أحياء المماليك البحرية .

شئون الأزهر وطلابه إبان العهد العثمانى:

فى عهد العثمانيين رغم المذابح التى قاموا بها فى القاهرة إلا أنهم

لم يتقدموا إلى اللاجئين بحمى الأزهر الشريف بأى سوء إجلالا له وتقديسا لحريته :

وأخـــذ العثمانيون الكتب والمخطوطات والعلماء بالأزهر إلى تركيا أغنياءهم وفقراءهم .

ولقد أنشىء منصب (شيخ الجامع الأزهر) إبان حـــكم السلطان سليم المعظم ليديره بعد ما كان السلطان هو الذى يديره ، وكان الهدف من تعيين شيخ ليتحمل مسئولية إدارة الجامع الذى إزدادت مشاكله وتعددت أعماله بعد تطوره إبان حكم المماليك[1] .

وفى هذا العهد العثمانى نهبت أوقاف الأزهـر وأهملت شئونه طوال هذا الحكم ، لكن العثمانيين يقال : أنهم عينوا الشيخ إبراهيم ابن محمد البرماوى كأول من عين عام ١٦٩٤ شيخا للأزهر وكان قبل عهد الشيخ الخرشى ، لكن لا توجد أية مصادر تنبئنا أن مشيخة الأزهـــر كانت تسبق عهد الشيخ الخرشى .

وكان الطالب إبان العهد العثمانى ليلتحق بالأزهـر لا بد وأن يكون قد تعلم فى (كتاب) القـرية أو فى المسجد بعض سور القرآن التى يحفظها عن ظهرقلب علاوة على إجادته للقراءة والكتابة

[١] تعبر أحداث التاريخ إلى أن قيادة الأزهر لتبليغ الدعوة لا يصلح أمره إلا إذا أمكن أهله من إدارته حسبة لوجه الله . الإشراف الفنى

وفى هذه الفترة كان (كتاب) القرية على عاتقه مهمة تخريج الغلمان المؤهلين للالتحاق بالأزهر الشريف لينضموا إلى غلمان فى أعمارهم ، فإذا كان الصبى من الأقاليم كان أبوه أو ولى أمره يرسله على حمار إلى القاهرة أو فى مركب بالنيل حاملا معه (خرجه) وسبته وملابسه ، فلما يصل إلى كنف الأزهر يتنسم رائحة من الطهارة ، ويعيش فى جو كله معبق بروحية تصرف الطالب عن ملاهى الدنيا : وتجذ به إلى روضة العلم وعلى هذا كان طلبة الأزهر مثاليين فى سلوكهم وروحانيين فى معيشتهم ..

والطالب الغريب عن أهله كان يعيش عيشة فقر مدقع إذا لم يمده أهله بالزاد والزواد ، وإذا كان كبير السن كان يعطى دروسه خصوصية لمن دونه ويعيش فى الرواق وعلى جراية الخبز وكان معظم الطلبة لشدة فقرهم ينامون فوق الحصير ، وعلى الأرض لأنهم كانوا غير قادرين على شراء أسرة لهم فكانوا ينامون متدثرين بملابسهم ويلتحفون بحصرهم حولهم ، وإذا كان الجو حارا كان الطلاب ينامون فى صحن الجامع حيث كانوا يضعون خبزهم ليجففوه حتى يظل سليما مدة طويلة ، فإذا ما أراد أن يأكله يبلله بالماء ، ويأكل معه الخل والخضروات كالجزر والثوم والبصل ، وكانت كل ممتلكات الطالب لا تتعدى القليل من الملابس والمتاع والكتب

فكان يضع كل هذه فى صندوقه أو خرجه ، وكان عليه كما يصف (دودج) (Dodge) أن يصلح حذاءه ويرتق ملابسه [1] .

ولقد كان الطالب الأزهرى إبان القرن الثامن عشر يعيش حياة سيئة للغاية فكان يطبخ طعامه على (الكانون) فوق الفحم المتوهج فى صحن الجامع الشريف فالطالب الفقير الذى يعيش داخل أروقة الأزهر كان يعنى أنه يعيش عيشة فقر مدقع وعمل مضن بخلاف الطلاب الميسورى الحال الذين كانوا يعيشون فى حجرات يؤجرونها ويتناولون طعامهم . فى المطاعم ، وحجراتهم كانت مؤثثة ومسقوفة تحميهم من شظف العيش ، ولقد وصف أرمينجون (Arminjon) معيشة أحد الطلاب عندما رآه فى بيته فوجد عنده سريرا من سعف النخل وصندوقا يضع فيه ملابسه وكتبا يطالع فيها (وزيرا) للمياه وقنديلا بالزيت واثنى عشر مجلدا من أمهات الكتب . . أما الطالب (طه حسين) إبان مطلع القرن العشرين فلقد وصف لنا معيشته التى تتسم بالبؤس بأنها كانت أقرب إلى الشقاء منها إلى راحة البال . وهذا ماطالعناه فى روايته [2] (الأيام) حين

---

[1] لقد كانت هذه إحدى سمات النشاط للنبى صلى الله عليه وسلم وإنها لسمة رفيعة فما أحوج الداعية إلى مثل هذه الذاتية ، وإن نظام الكشافة فى العصر الحديث ليحاول جاهداً أن يعلم الشباب ويدربهم على هذه الخلقية . الإشراف الفنى

[2] كتاب : الأيام يصور حالة عصر عام من الناحيتين : الاجتماعية والثقافية ، كانت تعيشها الحياة فى الشرق العربى كله . الإشراف الفنى

صور لنا كيف كان يعانى من قسوة الحياة إبان أن كان طالبا بالأزهر الشريف .

والطالب من صعيد مصر كان أهله يرسلون له الزاد والمؤن مرتين فى العام وهـذه المؤن كانت عبارة عن الثريد والخبز الجاف والسمن والجبن والدقيق والكشك .

وكان الطالب يتعطل[1] فى رمضان ويوم المولد النبوى والأعياد وكان الشبان من الطلبة يتزوجون من بلادهم أثناء العطلات ، ويتركون زوجاتهم طوال دراستهم مع أهليهم وذويهم .

والطالب الأجنبى كان يعيش فى رواق يخص بلاده . وهذا بلاشك كان يقضى فيه كل سنوات دراسته بالأزهر[2] . حتى يتخرج فيعود إلى بلاده فلذا كانت نهاية دراسته تعنى أنها أهم حدث تاريخى فى حياته . . وكان زملاؤه فى الدراسة يودعونه عند التخرج بحفاوة وبالشموع وتلاوة القصائد الشعرية واحتساء القهوة .

والطلاب كلهم إبان هذا العصر كانوا يرتدون الجبة والعمامة البيضاء والأشراف الذين من نسل الرسول كانوا يرتدون ملابسهم الخضراء ليميزوا عن زملائهم . .

---

[١] ما زالت هذه العادة محترمة فى كثير من بلاد الإسلام خاصة فى جنوب شرق آسيا : مثل : أندونيسيا ، وماليزيا ، وسنغافورا . الإشراف الفنى

[٢] وذلك هو أساس المدن الجامعية فى العصر الحديث . الإشراف الفنى

وإذا مات طالب فإن أقرانه كانوا يقيمون له مع أهله عزاء بالليل .. ولو مات أستاذ لهم فإنهم يتخلفون عن الدراسة طيلة ثلاثة أيام حزنا وأسفا عليه[1] .. ويشيعونه بعد أن ينادي المنادي عليه فى القاهرة ليتسنى للأعيان ورجال الدولة وزملائه حضور جنازته ويؤم شيخ الجامع الأزهر الصلاة عليه ويذهب الأساتذة والطلاب إلى كرسى الشيخ الفقيد يشيدون بذكراه . وطوال أربعة أسابيع متتالية عقب صلاة الجمعة يقرأ طلابه حول كرسيه الشاغر القرآن الكريم عليه .

والأزهر إبان الحملة الفرنسية كان به كما جاء فى كتاب وصف مصر حوالى ستين عالما . .

وكل عام كان الطالب يختار العلوم التى يتلقاها من أستاذه ويلتحق بأى حلقة يرغبها حتى إذا شعر أساتذته أن تلميذهم قد استقى العلوم واستوعبها لدرجة تؤهله أن يكون عالما أزهريا . كان يلحق بعدها بالتدريس بالأزهر أو بالتوظف فى الحكومة أو فى جامع ليكون إماما به أو فى سلك القضاء .

أما الطلاب العميان فكانوا يمكثون ثلاث سنوات فى الأزهر يتعلمون النحو وقراءات ولهجات القرآن ، ويقومون بعدها بقراءة

---

[١] ولعل هذه المشاركة الوجدانية هى السلوك التنفيذى للروح الجامعية المتمثلة بالوفاء .

الإشراف الفنى

القرآن كقارئين . وهؤلاء القارءون كانت لهم مكانتهم لأنهم كانوا يقرءون فى الجوامع والأفراح أو الأعياد أو على الموتى والبيوت .

وكان بعض الطلبة يمكثون ستة أعوام بالجامع الأزهر ليؤهلوا وليكونوا مدرسين أو مساعدين للمحامين . ولو ظل الطالب مدة أطول لينال دراسة أعلى فيصبح قاضيا أو مفتيا أو مدرسا أو إماما لمسجد .

والمدرس بالأزهر الشريف كان يطلق عليه لقب عالم أو أستاذ أو شيخ ، وكان يجلس على كرسيه بجوار أحد الأعمدة فى حلقة التدريس حيث كان يفتتحها بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبى ، ولما ينتهى الشيخ من درسه كان الطلبة من حوله يقومون ويلثمون يده وكانت مواعيد الدرس غير محددة بوقت ، فلقد كان الأستاذ يحق له ضرب الطالب أو طرده من حلقته ، وكان الطلاب الكبار فى السن يجلسون مع شيخهم عقب الدرس يحتسون الشاى .

وإبان القرن الثامن عشر لم يكن بالجامع الأزهر مكتبة مركزية ولكن كان كل رواق به كتب تخصه ، وكان الطلبة يتذاكرون سويا ويلخصون دروسهم معا ، وكان بعض الطلبة المجدين يقومون بعمل حلقات دراسية لزملائهم ليعلموهم ، وكان أساتذته يمتحنونه ليتأكدوا من مقدرته على التدريس ، وذلك بعدما يطلبون

منه القيام بشرح مسائل معقدة ، فإذا نجح كان ينضم كشيخ بالجامع معهم وإذا لم يستطع كان يحول ليصبح مدرسا فى مدرسة خارج الأزهر .

ولقد كانت حلقات الدرس مفتوحة لكل مسلم عاقل يريد أن ينهل من الثقافة الإسلامية لا تثريب على أحد مهما كان عمره أو ثقافته لكن إبان العهد العثمانى لم يكن الأزهر يمنح لطلبته أى شهادة علمية وكان يكتفى بشهادة أستاذه وتزكيته له بأنه صالح للتدريس وخلافه وهذه الشهادة كانت كافية لتعيينه حتى فى الوظائف المختلفة سواء بالأزهر أو بالدولة .

وإبان فترة الشيخ محمد عبده ـ كان للمشايخ لجامع الأزهر ـ كما كان متبعا لديهم ـ يوزعون المرتبات والجرايات على غير أسس متبعة ، وكان شيخ الجامع الأزهر عندما كان الشيخ محمد عبده عضوا بمجلس الأزهر ، يختص بالكساوى والجرايات والمرتبات للمدرسين بالأزهر ، وكانت الدراسة ليس لها أى مواعيد ولا نسبة للحضور ولا تحديد ثابت لموعد الامتحان ، فإذا ما الطالب دون اسمه أصبح له الحق فى الجراية والسكن بأروقة الجامع الأزهر حتى يبلغ الستين عاما مادام له مكانته لدى صاحب الرواق

فالشيخ محمد عبده أول من نادى بالإصلاح الإدارى للأزهر[1]، وجعل شئونه لها مكانتها الرسمية لدى الدولة نفسها، فوضع مرتبات ثابتة للمدرسين حسب القواعد المرعية واللوائح بالدولة، وقام بالعمل على نظافة الجامع ورفع المرتبات للمدرسين والموظفين، ووضع نظما لتوزيع الجراية وتحديد السكن.

ولقد جدد الشيخ محمد عبده أروقة الأزهر وأضاءه بالبترول وأنشأ بجواره المكاتب الإدارية، وقام بالعناية بالشئون الصحية وعلاج طلبته وأوصل المياه إليه.

وأهم ما يميز النهضة الإدارية للأزهر فى فترة الشيخ محمد عبده أن وضع أموالا كبدل للكسوة لأن الكساوى كانت توهب من الحاكم، فجعل الخديوى عباس يخصص بدلا منها أموالا توزع على المشايخ والعلماء.

---

[١] ألا تحتاج هذه الحركة إلى دراسة خاصة من جديد على ضوء احتياجات الدعوة الإسلامية لزيادة ذاتية نقية . . ؟ الإشراف الفنى

الدراسة بالأزهر الشريف

ومشى إلى الحلقات فانفرجت له

حلقا كهالات السماء منورا

حتى ظننا الشافعى ومالكا

وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

[شوقى]

لقد كانت بداية التدريس بالجامع الأزهر فى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى حيث انعقدت أول حلقة دراسية فى الجامع الأزهر فى (صفر سنة ٣٦٥ هـ ـ ٩٧٥ م) ، وقد قام بها قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان بن محمد القيروانى ، فقرأ على الحاضرين الفقه الشيعى من كتاب (الاختصار) الذى يعتبر بحق مختصراً لفقه آل البيت

وكانت تسجل أسماء الحاضرين لهذه المحاضرات لتنظيم هذه الحلقات الدراسية ، إلا أن هذه الدراسات كانت متعثرة بعض الشىء

لأنها كانت لا تتعدى سوى دراسة الفقه الشيعي دون ما عداه من العلوم ، حتى اتجه الوزير (يعقوب ابن كلس) ـ الوزير لدى المعز لدين الله الفاطمي ـ وكان وقتها وزيراً لدى ابنه العزيز بالله ـ إلى التدريس بالجامع الأزهر لأصول الفقه الشيعي ، وكانت دروسه تعقد يومى الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع ، حيث كان يطالع دروسه من (الرسالة الوزيرية) التى تعتبر من أمهات كتب الفقه الشيعي .

وكان ابن كلس قد أشار على الخليفة بأن يفرغ بعض العلماء وخلع الرواتب عليهم ليقبلوا على استيعاب ودراسة وتدريس مناهج توضع لهم فى أصول الفقه الشيعي .

ولأول مرة فى تاريخ المعرفة والثقافة نرى مسجداً فى العالم الإسلامى كله تدرس به الدراسة والعلوم الدينية دراسة منهجية ويكون المدرسون به تابعين للدولة ، تشملهم برعايتها والإنفاق عليهم وعلى الجامع وعلى التلاميذ أنفسهم ، لتشجعهم على مواصلة الدراسة والتحصيل للمذهب الفاطمي .

فالأزهر فى هذه الفترة كان على عاتقه مهمة تخريج الدعاة ولذا كانت مناهج الدراسة به أربعة أنواع للحلقات الدراسية .

الحلقات الدراسية إبان العهد الفاطمى :

١ — حلقات دراسية لدراسة القرآن وتفسيره وكانت هذه الدراسات للعامة والخاصة على السواء ، وكان يجتمع فيها الأتقياء لسماع القرآن وتفسيره .

٢ — حلقات دراسية يتحلق فيها الطلبة حول أستاذهم الشيخ الذى كان يجلس وسطهم على كرسى عال ليتدارسوا من حوله ويسألوه ويجيبهم فى الأمور الدينية .

٣ — حلقات المثقفين أو مجالس الحكمة كما كانت تسمى قديما . وهذه المجالس كانت تنعقد يومى الاثنين والثلاثاء ، وفى رواية أخرى يقال فيها أنها كانت تنعقد يومى الاثنين والجمعة من كل أسبوع . وكان يترأسها (داعى الدعاة) وكانت تضم جمهرة المثقفين ، وكانت هذه الحلقات شبه تخصصية يناقش فيها المتحلقون موضوعات فى الفقه والتفسير والحديث على مستوى أكاديمى وثقافى رفيع .

٤ — الحلقات النسائية : وكانت تعقد للنساء لإفهامهن أمور دينهن .

وكان من أبرز شيوخ هذه الحلقات وأظهرهم هو (يعقوب ابن كلس) الذى يقال عنه أنه يهودى الأصل أظهر إسلامه واستطاع

أن يشق طريقه متغلغلا فى قصر المعز لدين الله حتى وثق به ، فعينه وزيرا له ، ثم أبقى عليه خليفته العزيز بالله .

وكانت حلقات ابن كلس يضفى عليها هالة من التشريف لدرجة أن الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة كانوا يواظبون على حضورها والإقبال عليها والاستماع إليه . .

والأزهر طوال هذه الفترة بالذات كانت الدراسة به قاصرة على الدين واللغة والأدب والقراءات والنحو والمنطق والفلك .

وكانت أهم المراجع فى العصر الفاطمى كتاب (الاختصار) فى الفقه للنعمان القيروانى قاضى المعز لدين الله الفاطمى الذى خلفه ابنه قاضيا أيضا لدى المعز، وكتاب (اختلاف أصول المذاهب) ، وكتاب (اختلاف الفقهاء) ، وكتاب (دعائم الإسلام) وهذه الكتب كانت تعتبر إبان العصر الفاطمى ، درر الفقه ، كما كانت تدرس (الرسالة الوزيرية) التى وضعها ابن كلس ، وكان له مختصر لهذه الرسالة سماه (مختصر الوزير) علاوة على وجود بعض الكتب فى الرياضيات والفلك والتاريخ كانت تدرس ضمن الدراسات فى الأزهر إبان هذه الفترة .

مهام داعى الدعاة :

يعتبر منصب (داعى الدعاة) من أرفع المناصب وأهمها فى الدولة الفاطمية ، لأن مهمته توجيهية وإرشادية وثقافية ، ولأن (داعى

الدعاة) فى ظلال الحكم الفاطمى كان يعتبر المسئول الأول عن الدعاة للمذهب الفاطمى وعن مدى تطبيقه فى مصر والدول التى تدين بحكمها لها ، وكان منصبه يلى منصب (قاضى القضاة) فى المرتبة ، لكنه كان يقلده فى زيه .

وداعى الدعاة فى هذا العهد بالذات كانت له مكانته ، لأنه كان يعتبر همزة الوصل بين الخليفة الفاطمى وطبقة الشيعة الفاطميين ، فلذا كانت من مهام أعماله الإشراف الفعلى على سير الدعوة الفاطمية والمريدين لها ، وكان يأخذ العهد على كل من ينطوى فى كنفها . ولذا كان مكتبه فى داخل قصر الخليفة الفاطمى نفسه ، وكان المحاضرون والدعاة للمذهب الشيعة يفدون إليه كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع ليعرضوا عليه المحاضرات التى ألقوها فى أصول المذهب ، وكان يتشاور معهم فيها ويناقشهم فى محتوياتها ، ويبحث بعدها معهم المشاكل التى كانت تعن لهم إبان اجتماعاتهم ويعمل على بحثها وحلها بأسرع وقت .

وداعى الدعاة كان يعقد تباعا عدة مجالس فكرية كان يطلق عليها (مجالس الدعوة) وكان جزء من هذه المجالس مخصصا للسيدات المؤمنات ليلقنهن فيها أصول المذهب ، وبقية المجالس كانت مخصصة على النحو التالى :

١ — مجالس كانت مخصصة لأهل البيت العلوى .

٢ — مجالس لكبار رجال الدولة .

٣ — مجالس لخدام القصر الفاطمى .

٤ — مجالس للعموم والأهالى :

هذه المجالس كانت تعقد بخلاف الحلقات الدراسية التى كان يعقدها الدعاة فى الجامع الأزهر كما بينت من قبل .

٥ — مجالس خاصة بنساء القصور الملكية .

وكانت هذه المجالس تنعقد لهن خاصة .

أما محاضرات داعى الدعاة . فكان يوقع عليها من الخليفة شخصيا قبل أن يلقيها وهذا بلا شك كان لونا من ألوان الرقابة لضمان صحة تطبيق المذهب الإسماعيلى فى مصر . ولما كان داعى الدعاة يفرغ من إلقاء دروسه كان الأتباع والسامعون يهرعون إليه ليلثموا يده فكان يمسح بالورقة التى فيها رءوسهم ، لأن فى هذا تعبيرعن التبرك بها ،لأنها موقع عليها من قبل الخليفة بخاتم الملك .

قاضى القضاة :

كان يجوز لقاضى قضاة الخليفة الجمع بين منصبه وبين منصب (داعى الدعاة) كما كانت تخول له كل سلطاته ومهامه بالنسبة للإشراف على تطبيق مذهبهم .

وهذا الجمع بين المنصبين المهمين فى دولة الفواطم كان يعد شرفا لا يناله إلا الموعودون ،لأنه قلما وصل إلى هذه المرتبة العزيزة فقيه

فى عصر من عصور الخلافة الفاطمية ، لأن قاضى القضاة كان يلى وزير الخليفة مباشرة حسب ترتيب مهام كبار رجال الدولة الفاطمية ، ويليه مباشرة داعى الدعاة .

ولقد ذكر القلقشندى فى (صبح الأعشى) من أن الوزير لما كان يؤذن له بالمثول بين يدى الخليفة الفاطمى لا يؤذن له بالجلوس إلا بعد أن يلثم يده .. ثم يتبعه قاضى القضاة الذى كان يحيى الخليفة فقط بقوله : « السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . وكان قاضى القضاة هو الوحيد المستثنى من لثم يد الخليفة احتراما لمركزه وإشارة إلى استقلال القضاء فى العهد الفاطمى .

وبهذا الأسلوب من المطابقة جعل الحكام الفاطميون لقاضى القضاة مكانته بين مختلف الطوائف المختلفة . وكان (البروتوكول) المتبع عندما يخرج أو يدخل الخليفة الفاطمى الجامع الأزهر كان يتبعه الوزير بالسير على يمينه وكان يسير على يسار الخليفة قاضى القضاة وداعى الدعاة من خلفه إشارة لأن داعى الدعاة تابع له .

الدراسة فى العصر الأيوبى :

لقد كان عهد صلاح الدين الأيوبى يتميز بتجاهل سياسيل الجامع الأزهر كمدرسة علمية دينية لها مكانتها فى العالم .. ولاسيما وأن المدارس العلمية فى بلاد الأندلس قد أفل نشاطها مع تقلص النفوذ الإسلامى بها .

وكان صلاح الدين معنيا بإعادة المذهب السنى فى مصر ، وقد كان

يشايع الخليفة العباسى فى بغداد .. فلذا نراه يؤسس المدارس التى تدرس المذهب ليشل كيان الحركة الفكرية ذات النزعة الخاصة بالشيعة فى الأزهر .

وهذه المدارس كان يشجعها ويغدق عليها ليدرس بها المذاهب الأربعة وعين بها مشايخ يختص كل شيخ منهم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة .. ليشرف على شئونه وتدريسه وبهذه الدفعة الوثابة من صلاح الدين الأيوبى أعاد إلى مصر المذهب السنى بحيوية ونشاط .. والأيوبيون فى عصرهم أغدقوا تبعا لهذا الأموال على هذه المدارس وعمروها بالكتب وخصصوا لها المدرسين للقضاء على التشيع فى مصر .

والأزهر فى هذه الفترة التى عاناها لم يتوان عن الاعتماد على كيانه بالمجهودات الذاتية . فنرى الدراسة به كان معنيا بها من أساتذته ليبقى على مكانته الإسلامية الخالصة لله وسط هذه التيارات المتباينة . فكان المدرسون يعنون بالتدريس ويضاعفون دروسهم لمجاراة النهضة الفكرية إبان القرنين السابع والثامن الهجرى . وكان لتعدد مجالات الدراسة به واختلافها وتنوعها وسيلة لاستقطاب الطلاب من أرجاء العالم الإسلامى إليه .. الذين وجدوا بها مجالات تستهويهم ليدرسوا فيه .. ورغم هذا كان الأزهر يزوره أساتذة أجانب فى هذه الفترة ..

فلقد زاره موسى بن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبى ودرس به الطب والفلك والرياضة ..

وأتى إليه عبد اللطيف البغدادى ودرس به مدة عام فن الكلام والبيان والمنطق والطب ..

فالأزهر فى هذه الفترة كان معهداً للدراسة وبقيت الحلقات تعقد به ولو أن الدولة لم توله رعايتها واهتمامها إلا أنه ظل بمكانته العلمية .

نظام الحلقات بالأزهر :

لقد كان نظام الحلقات بالأزهر متبعا منذ زمن ، حيث كان يجلس الشيخ على حاشيته بجوار أحد الأعمدة التى تخص مذهبه .. لأن أعمدة الأزهر كانت مقسمة على (المذاهب الأربعة) والطلبة كانوا يجلسون حول أستاذهم فى حلقة بترتيب معين .. وكان الشيخ يقدم للدرس بالبسملة والصلاة على النبى .. ثم يملى درسه ويشرح الطلبة من حوله فقراته ويفسر لهم : ومن هذا الإملاء كتبت المخطوطات التى تداولت ونسخت وطبعت الآن .. وبعد أن ينتهى من درسه كان يختمه بالفاتحة .

الدراسة فى عهد المماليك :

لقد اعتبر عصر المماليك عصر النهضة الثانية للأزهر الشريف فى أعقاب الحكم الأيوبى لمصر .. ففى عهد السلطان الظاهر بيبرس نودى فيه بالصلاة يوم الجمعة من ربيع الأول عام ٦٨٦ هـ . بعد أن تعطلت به الصلاة مدة تصل لمائة عام .

في هذه الفترة .. كان العالم الإسلامي يواجه فترة من أحرج الفترات التاريخية التي ألمت به .. فبغداد كانت تعاني من حرائق التتار لحضارتها .. والمسلمون كانوا يقتلون في بلاد الأندلس وينحسر حكمهم .. وأصدق وصف لهذه الحقبة ما ورد في كتاب (جامعة الأزهر) الذي صدر عنها حيث جاء فيه « وفي أوائل القرن السابع الهجري نهض الأزهر بمهمة تاريخية جليلة حينما استطاع أن يحتفظ بتراث الحضارة الإسلامية والعربية بينما عصفت بهذا التراث رياح المغول في الشرق[1] . ففضت معاهد العلم في بغداد كما غاضت منابع الثقافة العربية والإسلامية في الأندلس وفتحت مصر صدرها للعلماء والطلاب الذين نزحوا إليها من الشرق ومن الغرب فرارا من الظلم والوحشية وغدا الأزهر الملاذ الحاني لهؤلاء العلماء والطلاب وأخذ يتبوأ مركز الزعامة الفكرية والثقافية في مصر والعالم الإسلامي، وأصبح مسرحا لنشاط جمهرة من أبرز العلماء أمثال عبد الرحمن بن خلدون وعبد اللطيف البغدادي وابن الفارض وابن خلكان والحافظ بن العسقلاني والقلقشندي والمقريزي وغيرهم .

فكان الأزهر رحبا عند استقبال هؤلاء العلماء المهاجرين إليه من كل صوب، فنهض متحملا على عاتقه مهمة الحفاظ على التراث

---

[1] الظاهرة التاريخية أن الاستعمار في مصر قد عجز وفشل رغم تخطيطه الثقافي والنفسي لإبعاد الأزهر عن حماية لغة الضاد ، ذلك لأن الأزهر هو وحده عرين الضاد وتاج الكنانة ، ودرع الشرق كله ... الإشراف الفني

الإسلامى ، وإبقاء شعلة للمعرفة الإسـلامية تبرق لجيوش المسلمين بالنصر على أعدائهم .

ولما أنشأ المماليك مدارسهم كالجوهرية والأقبغاوية والطيبرسية كان علماء الأزهر عليهم مهمة التدريس بهذه المدارس التى أنشأها المماليك .

وهـــذه الفترة جعلت من الأزهر جامعة إسلامية عالمية ، تتفرع منه كل الثقافات الإسلامية ، فظهرت لهذه الدفعة التطورية آثار خلفتها لنا ، فظهر نتيجة لهذا علماء أفذاذ منهم الإمام البوصيرى والمقريزى والضويرى والديرى والسيوطى [1] وابن إياس والعسقلانى وغيرهم من كبار علماء المسلمين ، وكان لهؤلاء العلماء المسلمين مؤلفات تعتبر من الشوامخ العالمية والثقافية .

والـكتب التى كانت تدرس بالعصر الأيوبى والمملوكى هى كتب فى : المنطق والفلسفة والطب .

قام بتدريسها : موسى بن ميمون وعبد اللطيف البغدادى وابن خلدون حيث درس مقدمته ، والدمامينى والعسقلانى كان يدرس فتح البارى ولسان الميزان والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، والشعرانى كان يدرس مؤلفاته فى التصوف والفلسفة والتفسير ، وغير هـذه الـكتب من الـكتب التى كانت سائدة إبان هذين العصرين .

[١] للامام السيوطى كتاب جليل فى السنة الإسلامية اسمه : «الجامع الكبير» ، والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الآن بصدد تحقيق هذا الـكتاب وهو مخطوطة متعددة النسخ ولسوف يتمم الله هذا الجهد ويظهر الجزء الأول قريبا إن شاء الله .
الإشراف الفنى

وفى عهد المماليك كان تدرس بالأزهر كتب فى الأحاديث المعروفة للبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة علاوة على مسند الإمام أحمد والشافعى ، وأول ما درس فى عهد السلطان بيبرس كان مذهب الإمام الشافعى .

وإبان هذا العهد الذى كان يحكم فيه المماليك البحرية والبرجية كما يصفه (دودج) حقق الأزهر أهدافا هامة وسامية منها :

إحياء علوم الدين ، وكان الأزهر يعد حصنا وملجأ للمصريين الثائرين على المماليك .

والمراجع التى كانت تستعمل فى العصر المملوكى ، كانت :

إما مختصرات أو ما يسمى بالمتون ، وهذه كانت تحفظ دون فهم أو استيعاب .

وإما شروحاً ، وهذه بالتالى فيها شرح للمتون شرحا وافيا .

وكانت تقدم للطالب كمرحلة ثانية فى التعلم ، وإما حواشى وهذه تساوى فى مفهومنا المعاصر المراجع العلمية الموسعة ، وكان الطلبة يعلقون على بعض النقاط بالحواشى فى شكل تقارير .

فعلى هـذا نجد أن الدراسة فى الأزهر الشريف كان أساسها حفظ المتون[1] عن ظهر قلب كبداية للتعلم فى الأزهر ، وعلى هذا سارت

[1] من النظريات التربوية فى التعليم : الحفظ . . . الإشراف الفنى

الدراسة بلامواعيد أو التزام من المدرسين بدروسهم إبان العصر المملوكى والعصر العثمانى من بعده دون أى قوانين تنظيمية للدراسة بالأزهر .

وفى عام ١٣٨٢ م قدم إلى مصر المؤرخ الفيلسوف (ابن خلدون) إبان عهد السلطان البرقوق وحاضر بالجامع الأزهر ، ولقد ذكر فى مقدمته أن الكثيرين وفدوا من العراق وشمال أفريقيا وغرب آسيا ، وهؤلاء معظمهم طردهم المغول إبان القرن الثالث عشر ، والقرن الرابع عشر من بلادهم ، ففروا ناجين بحياتهم ، ولقد حظيت القاهرة منذ هذه الفترة بمركز بغداد الثقافى وأصبحت أهم مركز للثقافة فى بلاد العرب لا سيما وأن فى عهد السلطان البرقوق انتعش التصوف الإسلامى واهتم بدراسته فى الجامع الأزهر الشريف .

الدراسة فى العهد العثمانى :

لقد تميز العهد العثمانى بالنسبة للأزهر بأن العثمانيين عينوا رئيسا للمشايخ بالأزهر وأطلقوا عليه (شيخ الجامع الأزهر) ، وكان يعتبر رئيسا للعلماء الذين يدرسون فى صحن الجامع الشريف ، وتعين تبعا لهذا النظام - كما هو مجمع عليه - الشيخ محمد الخرشى كأول شيخ للجامع وكانت مهمته الإشراف على سير الدراسة به وإدارته .

والأزهر إبان عهد السلطان سليم الأول تعرض للاعتداء عليه عندما أخذ الكثيرين من علمائه عنوة وقد قبض عليهم وأرسلهم إلى (استامبول)

لتحطيم الكيان الثقافى فى مصر ، لأن هذا الكيان كان يتجسم فى الجامع الأزهر الشريف .

ومنذ هذه الحقبة عانى الأزهر من التدهور الفكرى الذى بدأ بأروقته وبدأت العلوم العقلية تحارب بتعصب ونفور فيه، بإيعاز من الحكام العثمانيين والولاة الذين كانوا يهدفون إلى عزل مصر عن التطور الحضارى العالمى وغلق الأبواب على أبنائها دون الثقافة فى الأزهر حتى لا تتطور أو تطل على منافذ المعرفة الفكرية فى العالم، فكانت الدراسة إبان العهد العثمانى لا تتعدى العلوم الدينية وكان من شدة التعصب ضد التجديد بالأزهر والتمسك بالقديم والإبقاء عليه دون أدنى تطور ، أن الخديوى لما وجد الشعور سائدا بالمطالبة بالتطور وإدخال العلوم العقلية كالرياضة والطبيعة ، استصدرت الدولة فتوى من الشيخ محمد الإمبابى شيخ الجامع الأزهر عندما حضر إليه العلماء يستفتونه فى جواز تدريس العلوم العصرية فى الجامع وذلك فى عام ١٨٨٧م فأقر إدخال هذه العلوم ظاهريا ولكنه كان حقيقة يعرقل تطبيق التطوير للعلوم بشتى الوسائل .

والحاكم العثمانى فى مصر اتبع عدة أساليب للوقيعة بين طلاب الجامع ، والدسيسة بين علمائه وأساتذته لدرجة أنهم كانوا يدفعون بالصحف وقتها للهجوم على العلماء المسلمين واتهامهم بأنهم زنادیق ،

فـكان يردد على هـذه الصفحات فردية . تقول بأن تدريس العلوم الحديثة خطر على الإسلام والمسلمين .

لـكن رغم هذا ، فالأزهر إبان العهد العثمانى كان يحمل عبء الحفاظ على الثقافة الإسلامية ونشرها طيلة ثلاثة قرون ولاسيما وأنه كان قبلة العالم الإسلامى ، يتوجه إليه كل طالب علم فى العالم الإسلامى.

ولقد كان فى جهل الحـكام العثمانيين السبب الأول والأساسى للتدهور الثقافى بالأزهر ، وكانوا يستمرئون الظلم ، ونهبوا الأوقاف الخاصة به ـ وفرضوا اللغة التركية ليتخاطب بها الشعب ، لدرجة كانت فيها اللغة العربية معرضة للزوال ، فلولا وجود هذا الطود الأشم وصموده لشتى التيارات وإبقاؤه بعزيمة لا تلين على الدراسة داخل أروقته ـ برغم قصر الدراسة به على العلوم الدينية واللغوية ـ لـكانت اللغة العربية قد تعرضت لهزات فـكرية ضارية .

والأزهر فى ألف عام ١٧١٨ م إبان فترة الوالى العثمانى أحمد باشا كور الذى كان واليا عالما بعدة أمور منها الرياضة والفلك ، حاول أن يدخل هـذه العلوم ضمن الدراسة بالأزهر ، فطلب من الشيخ عبد الله الشبراوى وغيره من العلماء أن يدرسوا علوم المقاصد من رياضة وعلوم الهيئة (الفلك) ،

والأزهر طوال القرن الثامن عشر كان يهتم ـ حسب ماورد فى حوار

بين الوالى أحمد باشا كور والشيخ الشبراوى - يطالبه بتدريس علوم للمنطق والتوحيد والفرائض وللمواريث وبقية العلوم الشرعية .

وكان الأزهر يدرس إبان هذه الفترة كما جاء فى سند الشيخ أحمد الدمنهورى : الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها وعلم الإسطرلاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الارثماطيقى وعلم المزاول وعلم الأعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة : وهى الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم التشريح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم .

لكن رغم هذا كله فالولاة العثمانيون قد أشاعوا فرية تحريم دراسة العلوم العقلية لتعيش مصر فى تخلف فكرى لدرجة أن علماء الأزهر اعتقدوا بمرور الوقت أن دراسة الفلسفة كفر كما ذكر لنا على باشا مبارك .

الدراسه بالأزهر

إبان القرنين التاسع عشر والعشرين

لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر تعتبر بالنسبة إلى الفكر المصري المعاصر لها وللأزهر الشريف صحوة من بعد رقاد، وهذا قد انعكست آثاره فى الكتب التى ظهرت إبان هذه الفترة التى نلحظ منها تأثر العلماء الأزهريين، فهنا نجد أن الشيخ العطار يقول فى مجمل أحاديثه إنه آسف لإهمال الأزهر علوم الحكمة واللغه.

فقد أراد الحكام لمصر إبان القرن التاسع عشر ومع القرن العشرين أن يكون الأزهر مطوقا يرسف فى قيود الماضى دون أى تطلمات إلى المعرفه المشرقه أو إلى التطور الذى كان ينبغى أن يسير فى اتجاهه الأزهر. منذ عشرات السنين.

تعرض فيها الأزهر لدسائس ومؤامرات الحكام لدرجة أشعلت جذوة الصراع بين علمائه فى أروقة الجامع العظيم.

وكان هذا - بلا شك - مقصودا به إضعاف الكيان الأزهرى ولا سيما عندما اتجه الخط السياسى بالنسبة لمطالب وآمال الأمة المصرية وتطلعاتها إلى الاستقلال والحرية لأنها كانت ترسف فى أغلال العبودية والظلم والحرمان.

وإبان الوالى (محمد على) برغم اهتمامه بإنشاء مدرسة للطب

وأخرى للهندسة وثالثة للألسن . إلا أنه تعمد إهمال تطوير الأزهر لأنه كان ينقم على علمائه الذين أتوا به إلى كرسى الحكم ، فكان يخشى ثورتهم عليه ، فعمل على تفتيت كيانهم وكيان معهدهم التاريخى العظيم.

لكن رغم هذا، فالأزهريون كانوا يوفدون ضمن البعثات التعليمية التى ابتعثت فى هذه الفترة إلى البلدان الأجنبية ، لأن الدولة إبان عصر محمد على كان لا يوجد بها أى متعلمين أو مثقفين سوى هؤلاء الأزهريين رواد الثقافة العلمية فى مصر، فلما عادت هذه البعثات الدراسية تولى أعضاؤها المناصب القيادية فى الدولة ، وكانت هذه البعثات أول فرصة تمكنها الدولة لأبناء الأزهر ليطلوا منها على الحضارة الأوربية الناهضة .

ولذا نرى أن القرن التاسع عشر كان يعتبر فترة صراع فكرى بين القديم والحديث بالأزهر فكان بناء على هذا الصراع يمالىء ولاة الأمور التيار الأقوى خشية الثورة عليهم ، فكلما أحسوا بدعوة للتطور تجوب أنحاء الأزهر الشريف أقالوا شيخ الجامع الأزهر وأتوا إلى الكرسى بشيخ يميل إلى الجمود دون التطور لتمر العاصفة التى تجتاح الأزهر وليحقق رغبة الحاكم الدفينة .

فالقرن التاسع عشر شهد بداية التطور وأول من نادى به هو الشيخ حسن العطار الذى يعتبر فى عصره من أعظم المثقفين المصريين

لأنه كان معاصرا للحملة الفرنسية من مجامع علمائها مطلعا على أسرار علومهم ، فبهر بهـذا التطور العلمى الذى صحبهم ، فاطلع على أيدى الخبراء الفرنسيين على أسرار كثيرة من العلوم التى عميت عليه ، فأتقنها واستوعبها حتى أصبح إمام المثقفين ، فلقد درس الطبيعة والهندسة والمنطق والفلك وعلوم الحيل والأدب والرياضة ، وكان محاكيا للعلماء الفرنسيين فى عدة مجالات علمية حتى أصبح مطلعا على حيلهم العلمية فى الـكيمياء وتجاربهم العلمية فى العلوم .

وفى عصر الشيخ العطار بزغ نوع من المعرفة المتطورة فى الغرب أعقاب الحملة الفرنسية على مصر فترجمت الكتب الأجنبية إلى اللغة التركية والعربية ، ونشطت تبعا لهذا حركة الترجمة التى كان لها أثرها الواضح.

ولقد شهدت هذه الفترة أيضا مصلحا ثانيا هو رفاعه الطهطاوى الذى كان قد تأثر بعقلية أستاذه الشيخ حسن العطار وأفكاره المتنوعة ، والشيخ رفاعه كان قد ابتعث إلى الخارج فى بعثة علمية .. أثرت فى أفـكاره وتفـكيره لدرجة جعلته راغبا فى تطوير الأزهر تطورا فـكريا منشودا ، لـكنه تعثر فى التنفيذ فلقد كان يتمنى أن يدرس الأزهر لطلابه العلوم الحديثة التى بدأت تنمو فى أوربا أو على حد قوله : (إن هـذه العلوم الحـكيمة العلمية التى تظهر الآن أجنبية هى علـوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الـكتب العربية

ولم تزل كتبها إلى الآن فى خزائن ملوك الإسلام أو على حد قولهم بضاعتنا ردت إلينا) .

والعلوم التى كانت تدرس بالجامع الأزهر إبان القرن التاسع عشر ، علاوة على العلوم الشرعية كما يقول (رفاعة الطهطاوى) فى كتابه (مناهج الألباب) :

(الفرائض والميقات،وسيلة ابن الهائم ومعونته كلاهما فى الحساب، والمقنع لابن الهائم ، ومنظومة الياسمينى فى الجبر ، والمقابلة ودقائق الحقائق فى حساب الدرج ، والدقائق لسبط المارديني فى علم حساب الأزياج ، ورسالتين إحداهما على ربع المقنطرات ، والأخرى على ربع المجيب كلاهما للشيخ عبد الله المارديني جد السبط ، ونتيجة الشيخ اللدائقي المحسوبة لعرض مصر والمنحرفات للسبط المارديني فى علم وضع المزاول ، وبعض اللمعة فى التقديم وأخذت عن سيدى أحمد القرافى الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز واللمحة العفيفة فى أسباب الأمراض وعلاماتها بشرح الأمشاطى ، وبعضا من قانون ابن سينا ، وبعضا من كامل الصناعة ، وبعضا من منظومة ابن سينا الكبرى والجميع فى الطب) .

وقرأت على أستاذنا الشيخ عبد الفتاح الدمياطى كتاب (لقط الجواهر فى معرفة الحدود والدوائر) للسبط المارديني فى الهيئة السماوية ، ورسالة ابن الشاطر فى علوم الأسطرلاب ، ورسالة قسطا بن لوقا فى العمل

بالكرة وكيفية أخذ الوقت منها ، والدرر لابن المجدى فى علم الزيج .

وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومى أشكال التأسيس فى الهندسة ، وبعضا من الجغمينى فى علم الهيئة وبعضا من رفع الأشكال عن مساحة الأشكال فى علم المساحة .

وقرأت على شيخنا الشيخ عبد الجواد المرحومى جملة كتب منها رسالة علم الارثماتيقى للشيخ سلطان المزاحى .

وقرأت على الشيخ محمد الشهير بالسحيمى منظومته الحكم درمقاش المشتملة على علم التكسير وعلم الأوفاق وعلم الاستنطاقات وعلم التكعيب ورسالة أخرى فى رسم ربع المقنطرات والمنحرفات لسبط المارديني وعلم المزاول ومنظومة فى علم الأعمال الرصدية وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن ساعد الأنصارى (هذا العلم يحوى : علم الحرف وعلم الطلاسم وعلم الطالع وعلم المواليد والممالك الطبيعية والحيوانات والنباتات والمعادن .

وأخذت عن شيخنا الشيخ حسام الدين الهندى شرح الهداية فى علم الحكمة ومتن الجغمينى فى علم الهيئة بمراجعة قاضى زاده ومطالعة السيد عليه وأخذت عن سيدى أحمد الشر فى شيخ المغاربة بالجامع الأزهر كتاب اللمعة فى تقديم الكواكب السبعة) علاوة على بعض كراريس فى عين الحياة وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم التشريح وعلم الطب وعلاج لسع العقرب وأسماء سلاطين العجم والعرب) .

وشهد الأزهر أيضا إبان فترة الإمام الشيخ محمد عبده عدة تطورات ثقافية ولا سيما عندما أشار على الشيخ النواوي شيخ الجامع الأزهر وكان صديقا له بإدخال بعض العلوم العصرية كالحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والتاريخ والخط .

لكن رغم الحركة التي نادت بتطور الأزهر نجد الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر ، وقد تصدى لموجة التطور الفكري في حديثه في جريدة مصرية عام ١٩٠٥ جاء فيه : (أن الذي حدث من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني في الأزهر ، ويحول هذا المسجد العظيم إلى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين ، وقال بأنه سمع منذ سنوات عن حركة الإصلاح في الأزهر فسماها بالفوضى)[١] .

إلا أن الأزهر كما يقول (دودج) رغم هذا الذي سبق كان يمثل الدراسة الناهضة المتطورة بالنسبة إلى الطلاب في كل أنحاء الأقاليم المصرية ، فلقد كانوا يفدون إليه ليتزودوا منه الثقافة العالية والرفيعة في عصرهم) ، هذا إذ ما قورن بالمدارس المصرية التي كانت متخلفة إلى درجة كبيرة .

[١] ان تطوير الأزهر بمستوى تهيئة ظروفه لخدمة الدعوة الإسلامية أمل كل غيور على الإسلام ورغبة كل محب للخير والحق . الإشراف الفني

قوانين الإصلاح بالأزهر

فى القرنين التاسع عشر والعشرين

أهم القوانين هى :

١ — قانون عام (١٨٧٢ م ـ ١٢٨٧ هـ) :

هذا القانون صدر لينظم الحصول على العالمية ويصدر بها براءة من الحاكم ، وله ثلاث درجات يدرس فيها العلوم (الأحد عشر) وهى : الأصول ، والفقه ، والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والنحو ، والصرف ، وعلوم البلاغة ، والمنطق ، والبديع .

وهذا القانون قد حد من أمور كثيرة كانت تجرى بالأزهر كبلوغ البعض سن الستين ويحصل بعدها على الجراية كما كان قبل هذا السن .

وهذا القانون بين العطلات الدراسية، فجعلها محددة بعد أن يؤدى الطالب امتحانا فى مواد معينة ينال بعدها (العالمية) .

والامتحانات فى هذه الفترة كانت شفهية أمام لجنة من الشيوخ ،

والامتحان كان بالتعيين ، أى تعيين نقطة علمية معينة للطالب يدور حولها الامتحان ويوفيها حقها فى كل ما يتعلق بها علميا وبعدها يحوز على النجاح .

ولقد نص هـذا القانون بأن جعل الامتحان للطالب لينال العالمية أن يكون أمام لجنة من ستة علماء بالأزهر يختارهم شيخ الجامع ، وكان وقتها هو الشيخ محمد العباسى المهدى الذى كان فى عهد الخديوى إسماعيل .

وبعد عام ۱۸۹۲ م درست كتب فى : علم التوحيد والتصوف ، ومصطلح الحديث ، والفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، وأصول الفقه الإسلامى ، وكتب اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة والعروض ، والقوافى ، والوضع ، والمنطق ، وآداب البحث ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والحساب ، والرسم ، والحكمة ، والهيئة ، والميقات ، والجبر .

فيقال إن عدد الكتب التى درست فى عام ۱۸۹۲م فى الأزهر حسب عدها هى (۲۲۷) كتابا فى العلوم السالف ذكرها .

۲ — قانون عام (۱۸۹٥ م ـ ۱۳۱۳ هـ) :

صدر هذا القانون إبان مشيخة الشيخ حسونه النواوى بعد صراع بين طرفى النزاع فى قبول الإصلاح ورفضه ، لكن أهم ما يميز

هذا القانون أن علماء الأزهر هم الذين طالبوا به وطلبوه من الخديوى عباس .

فتبعا لهذا القانون أصبح للجامع الأزهر مجلس يسمى (مجلس إدارة الأزهر) ، كما أن هذا القانون نظم رواتب العلماء وأدخلت علوم إلى جانب العلوم (الأحد عشر) .

وهذه العلوم هى علوم : الأخلاق ، ومصطلح الحديث ، والحساب ،والجبر ، والعروض ، والقوافى ، وفقه اللغة ، والإنشاء ، والتاريخ الإسلامى ومبادئ الهندسة ، وتقويم البلدان والخط ، وأصبحت مدة الدراسة ١٢ عاما .

وأهم ما تمخض عنه هذا القانون أن أصبح للأزهر مجلس إدارة يمثل فيه المذاهب الأربعة ، علاوة على أن الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سليمان كانا ممثلين للحكومة فيه ، وعدد أعضاء المجلس ١٥ عضوا غير الرئيس ، ويجتمع هذا المجلس كل ١٥ يوم ، ومهامه وضع كيفية التدريس بالأزهر.

وجعلت الدراسة بالأزهر فترتين : الفترة الأولى مدتها ثمانى سنوات ،يعطى الخريج بعدها شهادة الأهلية، وبعدها يقضى الطالب أربع سنوات يمنح بعدها شهادة العالمية .

وبروح هذا القانون قرر (مجلس إدارة الأزهر) إنشاء مشيخة علماء الاسكندرية عام ١٩٠٣م ، ولقد استطاع المجلس أيضا أن ينظم الرواتب ويعنى بالشئون الصحية لطلاب الجامع الأزهر، وأصبح له ميزانية ثابتة ومستقلة فى ميزانية الدولة ، كما أن هذا القانون قد نص على بدل الكساوى الذى قدر بمبلغ لا يقل عن ١٢ جنيها ولا يزيد عن ٢٣ جنيها ، كما نظم الأوقاف المحبوسة للأزهر .

٣ — قانون عام (١٨٩٩ م - ١٣١٤ هـ) :

لقد تشكلت لجنة من ثلاثين عضوا برئاسة الشيخ سليم البشرى للعمل على إصلاح الأزهر ، وأهم ما يتميز به هذا القانون أنه نظم العطلات الدراسية بالأزهر ومواعيد الدراسة به ، فكانت تبدأ من ١٠ شوال من كل عام ،وتنتهى فى النصف من شعبان ، وكان الطلبة يتعطلون لمدة شهرين .

ولقد قرر القانون تدريس ثلاثة أنواع من العلوم بالأزهر هى : علوم المقاصد ، وعلوم الوسائل ، والعلوم العقلية، التى كانت غير موجودة ضمن المنهج الدراسى للأزهر .

وبين هذا القانون أن الدراسة على ثلاث مراحل ، كل مرحلة

مدتها خمس سنوات دراسية ، كما حـدد القانون الإجازات ، وبين أن شهادة (الأهلية) - ابتدعها هـذا القانون - لتخريج أئمة وخطباء للمساجد ، والطالب كان يمتحن أمام لجنة مكونة من ثلاثة علماء ، برئاسة شيخ الجامع الأزهر ، وتمنح له الشهادة .

وهذه الشهادة كانت لا تختم من الخديوى ، بل كان يوقع عليها شيخ الجامع الأزهر ، أما شهادة (العالمية) فكانت تختم من الخديوى .

والشهادة الأهلية كان يحصل عليها الطالب بعد أن يقضى ثمانى سنوات مواظبا على العلم واستيعاب العلوم المقررة عليه فى أروقة الجامع الأزهر الشريف .

٤ — قانون عام (١٩٠٨م-١٣٢٦ هـ):

صدر هذا القانون فى أعقاب إنشاء مدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٧ ، ويتميز هذا القانون بأنه جعل الامتحان إجباريا فى المراحل الثلاث التى بينها قانون عام ١٨٩٩ ، وكان هـذا القانون إبان حكم الخديوى عباس ، ولقد دعت الحاجة الملحة إلى إصداره حتى لا تطغى [1] مدرسة القضاء الشرعى على خريجى الأزهر الشريف ، ويسلب منهم الحق فى التعيين كقضاة شرعيين ، وبين أن الأزهر يقوم بإدارته

[1] لعله تعليل خاص ، أو رأى يرتضيه المؤلف . الإشراف الفنى

مجلس عال يرأسه شيخ الأزهر ومعه ستة أعضاء، هم : المفتى وشيوخ المالكية والشافعية والحنابلة واثنان من موظفى الحكومة .

وهذا القانون قد اقتصر مدة الدراسة بالأزهر على اثنى عشر عاما ، وبين أن الدراسة ثلاث مراحل ، كل مرحلة أربع سنوات .

٥ — قانون (١٩١١ م ـ ١٣٢٩ هـ) :

صدر فى عهـــد الشيخ سليم البشرى فى مشيخته الثانية ، فيه أصبحت الدراسة لمدة ١٥ عاما ، وبين هـذا القانون أن للمرحلة الابتدائية والثانوية يدرس بها العلوم العقلية مع العلوم الدينية ، أما للمرحلة العالية، فيدرس بها العلوم الدينية، وأنشىء أيضا تبعا لهذا القانون

(هيئة كبار العلماء)

التى عليها مهمة تدريس العلوم الدينية بالقسم العالى بالأزهر ، كما نص أن لـكل مذهب شيخا يمثله بالجامع الأزهر، ثم نص القانون على جواز تعيين وكيل للجامع الأزهر، ونص على إنشاء هيئة تشرف على الجامع وهى (مجلس الأزهر الأعلى).

٦ — قانون (١٩٢٣ م ـ ١٣٤٢هـ) :

صدر هذا القانون فى عهد الشيخ «أبو الفضل الجيزاوى» ولقد نص هذا القانون على جعل الدراسة مدة ١٦ عاما علاوة على زيادة مرحلة التخصص ، وكانت هذه المرحلة بداية لإلغاء مدرسة القضاء الشرعى التى ضمت إلى قسم القضاء بالتخصص ـ الذى استرده الأزهر

أخيرا ، ويلتحق به الطلاب بعد الحصول على العالمية ، وكانت أقسام هذا القسم هى : قسم للتفسير ، وقسم للحديث ، وقسم للغة ، والأصول ، وقسم للنحو والصرف ، وقسم البلاغة والأدب ، وقسم للتوحيد والمنطق ، وقسم للتاريخ والأخلاق .

٧ — قانون عام (١٩٣٠ م) :

صدر هذا القانون فى عهد الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، ويتميز هذا القانون بأنه جعل الدراسة فى المرحلة الابتدائية أربع سنوات ، والثانوية خمس سنوات ، والقسم العالى أربع سنوات ، وأنه أصبح للجامع الأزهر فى القسم العالى كليات : الشريعة ، واللغة العربية ، وأصول الدين ، وقسم للتخصص الذى وضعت له علوم خاصة به ، والتخصص كان إما تخصصا : فى المهنة[1] أو تخصصاً فى المادة[2] ، وهذا القانون يعتبر قانونا تطويريا للأزهر .

٨ — قانون عام (١٩٣٦ م) .

صدر هذا القانون فى عهد الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وكان يهدف إلى جعل الدراسة بالأزهر ابتدائية وثانوية وعالية ومرحلة تخصص وهذا القانون بين اختصاصات (جماعة كبار العلماء) كما بين العلوم التى تدرس فى كلية اللغة العربية والشريعة وأصول الدين.

[١] والمراد بها : تخصص التدريس ، وتخصص القضاء الشرعى .
[٢] والمراد به (قسم الدكتوراه) . الإشراف الفنى

٩ — قرار مجلس الأزهر الأعلى عام ١٩٥٨ م :

هذا القانون حدد بعض الدراسات فى اللغة العربية واللغات الأجنبية كخطوة تطويرية للدراسة بالأزهر ، ولا سيما فى كلية أصول الدين .

١٠ — قانون عام ١٩٦١ :

قانون تطوير الأزهر ، وهذا القانون أريد به إعطاء الأزهر فرصة أوسع لخدمة الدعوة الإسلامية فبين ضمن التنظيم أن للأزهر عدة هيئات وإدارات هى :

١ — المجلس الأعلى للأزهر .

٢ — مجمع البحوث الإسلامية .

٣ — إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية .

٤ — جامعة الأزهر .

٥ — المعاهد الأزهرية[1]

[١] راجع المادة رقم ٨ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .الإشراف الفنى

كفاح الأزهر

قيادته للشعب :

لقد كان الأزهر الشريف فى صدر إنشائه حتى نهاية عصر المماليك جامعا للصلاة وجامعة للعلم .

ولقد واجه العثمانيون قبل مجىء الحملة الفرنسيه إلى مصر ثورتين كان لهما أثرهما فى الكفاح المصرى ضد الحكم العثمانى ، فثمة ثورة قادها الشيخ أحمد الدردير عام (١٧٨٦م) وأعلن الاستعداد للقتال وهذه الثورة التى أيدتها جمـــوع الشعب فكان لها صداها لدى إبراهيم بك الذى رضخ لمطالبهم فأرسل الوالى نائبه يسترضى المصريين واعداً إياهم بأن الأمراء المماليك سوف يكفون عن ظلم الأهالى .

والثورة الثانية عام (١٧٩٥ م) تبين أن الأزهر كان ملاذا للمصريين المظـلومين . فيروى أن أهالى (بلبيس) أتوا إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر صارخين مستنجدين بعلمائه لمنع محمد بك الألفى وأتباعه من اقتراف الظـلم .. فاجتمع الشيخ عبد الله الشرقاوى فى منزل الشيخ السادات فلما علـم إبراهيم بك أرسل مندوبه أيوب بك « الدفتردار » ليفاوضهم . فقال له العلماء :

(نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها) فأجابهم أيوب بك قائلا :

لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات .

قال العلماء ردا عليه : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس . وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك، والأمير يكون أميرا بالإعطاء لا بالأخذ .

وهزت ثورة العلماء والى مصر وإبراهيم بك ومراد بك (من المماليك) ورفع علماء الأزهر عدة قرارات إلى الوالي من ثلاث نقاط : هي عدم فرض ضريبة إلا بعد إقرارها من المشايخ بالجامع الأزهر الذين يعدون نوابا عن الشعب مع احترام الحكام لحكم المحاكم الأهلية. وأن يكون لكل فرد حريته وحقوقه التي لا تمس إلا في حدود القانون .

ووافق الوالي على هذه المطالب . وحررت وثيقة ختم عليها إبراهيم بك ومراد بك وسميت هذه الوثيقة بالوثيقة السياسية أو وثيقة منزل إبرهيم بك ..

الأزهر والحملة الفرنسية :

لقد كان الأزهر كما يروى الجبرتي إبان حملة نابليون على مصر .

وقد كان العلماء عندما توجه مراد بك للقتـــال تجتمع في الأزهر كل يوم لقراءة البخاري وغيره من الدعوات كذلك مشايخ فقراء الأحمدية والسعدية والرفاعية وغيرهم من طوائف الفقراء وأربابه الأشاير كل يوم يذهبون للأزهر فيجلسون للأذكار وتجتمع أطفال الكتاتيب للدعاء وتلاوة اسمه تعالى .

وكان المسلمون يتوجهون إبان هجوم الفرنسيين إلى الجامع الأزهر لقـــراءة البخارى وكان رجال الطرق الصوفية يجلسون للأذكار .

وإبان عهد الفرنسيين عندما دخل نابليون عام ١٧٩٨ م القاهرة استدعى علماء الأزهر وألف لهم ديوانا يشرف على شئون القاهرة وحكمها ، وهذا الديوان كان يتكون من عشرة علماء كان على رأسهم الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر .

وفى هذا كان اعتراف نابليون بمكانة الأزهر وتأثيره فى الشعب وزعامته الشعبية له . لكن نابليون كان يفرض الضرائب الباهظة وكان يظلم الأهالى لدرجة جعلتهم يثورون على الحكم الفرنسى فى ثورة (١٧٩٨ م) التى كان قادتها يعسكرون فى الجامع الأزهر يخططون لها . وكان الجنرال (ديبوى Dupuy) فى هذه الفترة حاكم القاهرة فلما حاول الهجوم عليهم مع فرسانه انقضوا عليه وقتلوه وقتلوا معه بعض الجنود .

وفى هذه الفترة كان الجامع الأزهر يزخر بالثوار الذين بلغ عددهم فوق خمسة عشر ألفا ، فلما شاهد الفرنسيون هذه الثورة العارمة تمركزوا فوق تلال القلعة بمدافعهم وسلطوها على الأزهر والأحياء المجاورة له لإرهاب المصريين ، أو على وصف (الجبرتى) : ضربوا

بالمدافع والبنمبات على البيوت والحارات وتمددوا بالخصوص الجامع الأزهر وصوبوا عليه المدافع والقنبر ، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا (يا سلام من هذه الآلام ياخفى الألطاف نجنا مما نخاف) .

وبعدها دخل الفرنسيون بخيولهم صحن الجامع الشريف وولجوه من بابه الكبير وداسوا فوق أرضيته بالنعال حاملين أسلحتهم وبنادقهم متفرقين فى أروقته وربطوا خيولهم بالقبلة عابثين بحرمة الجامع ، ولم يراعوا فى هذا شعور المسلمين .

وامتدت أيديهم إلى كل ما يمكن أن ينهبوه داخل الأزهر وعاثوا فسادا فى بيت الله ونهبوا الأمتعة والكتب والأوراق والمحابر وشتتوا على الأرض الكتب التى بالمكتبة والمصاحف التى تحتويها وسكروا محتسين الخمر داخل هذا البيت المقدس ، وباتوا فوق أرضيته عابثين بمشاعر المسلمين من حولهم ، وقتلوا فى هذه المعركة حوالى أربعة آلاف مصرى متناسين أن من دخل المسجد فهو آمن ، فلم يلبث كبار العلماء المسلمين أن اتجهوا إلى نابليون ينشدون منه السلام والأمان ، ولكنه وعد وعدا كله تسويف حتى يمكنه أن يقبض على علماء الأزهر الذين كانوا وراء الثورة ضده ، فألقى القبض على خمسة من كبار علماء الدين وهم :

الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان .

والشيخ أحمد الشرقاوى .

والشيخ عبد الوهاب الشبراوى .

والشيخ يوسف المصيلحى .

والشيخ اسماعيـــل البراوى .

وأودعهم أسرى فى بيت البـكرى ، فاتجه الشيخ السادات على رأس وفد من أئمة العلماء مطالبين نابليون بالإفراج عنهم . ففعل :

ويقال إن نابليون بعد ثورة الأزهر ضده أعدم ستة من خيار العلماء به فى ساحة القلعة رميا بالرصاص فاستشهدوا فـــداء لمصر وفداء لأزهرها الأغر .

والأزهر دفع سليمان الحلبى لينتقم من الفرنسيين بقتله الجنرال (كليبر Klebre) وكان سليمان طالبا بالأزهر :

كفاح الأزهر والعهد العثمانى :

لقد برز دور الأزهر كقوة سياسية موجهة إبان العهد العثمانى عندما عزل الأزهريون خورشيد الذى كان معينا واليا على مصر من قبل السلطان فى الآستانة ، فطالبوا بعـزله وعينوا بدلا منه

(محمد على) ليكون واليا على مصر بشرط أن يكون عادلا لكن محمد على أخذ يعزل ويقتل وينفى علماء الأزهر حتى لا يعارضوه أو يتصدوا له ، وراح عامــدا يقوض أركان التضامن بين علماء الأزهر ويقلل من شأنه حتى يأمن على استمرار حكمه .

الأزهر وثورة عرابى :

كان الشيخ محمد العباسى المهدى عندما قامت ثورة عرابى يجمع بين منصبين :

شيخ الأزهر ، والإفتاء .

وكان من المعارضين لعرابى وأنصاره وهذا ما جعل الزعيم أحمد عرابى يطالب بعزله لأنه وضع نظاما لإجازة العلماء بالتدريس ، وأوجد عدة خلافات بينه وبين العلماء حول الجراية وطريقة توزيعها ، ورفع العلماء ضده الشكاوى إلى الحكومة التى بادرت إبان انتصار الثورة العرابية التحقيق فى هذه الشكاوى ، فعزل من منصب المشيخة وبقى مفتيا للديار المصرية .

وجاء فى قرار لجنة التقصى والتحقيق أن الشيخ العباسى كان مفتيا حنفيا ومشيخة الأزهر كانت معهودة دائما إلى علماء الشافعية وبناء على هذا أصدر الخديوى توفيق فى ١٢ محرم عام

١٢٩٩ هـ ـ ٥ ديسمبر عام ١٨٨١ م قراراً بفصل الشيخ العباسى من مشيخة الأزهر كما جاء فى الوقائع المصرية عدد ٦ ديسمبر ١٨٨١ .

وأمر الخديوى بإسناد مشيخة الأزهر إلى الشيخ محمد الإنبابى فى ١١ ديسمبر عام ١٨٨١ ، وهو من كبار علماء الشافعية ، واختار علماء الأزهر له ثلاثة مستشارين من العلماء يمثلون المذاهب الثلاثة : (الحنفى ، والمالكى ، والحنبلى) فاختير المشايخ

محمد عليش (مالكى) .

والشيخ يوسف الحنبلى (حنبلى) .

والشيخ عبد الله الدرستاوى (حنفى) .

وهؤلاء كان يشاورهم شيخ الجامع الأزهر فى شئون الأزهر الهامة ، على أن تؤخذ آراؤهم فى الحسبان .

وبعد فشل ثورة عرابى واستعادة الخديوى توفيق لنفوذه أعيد الشيخ محمد العباسى المهدى ثانية إلى المشيخة فى ٢١ أكتوبر ١٨٨٢ م ـ ١٨ من ذى القعدة عام ١٢٩٩ هـ وأعفى الشيخ الإنبابى منها ، وجمع ثانية الشيخ العباسى ما بين الإفتاء ومشيخة الأزهر .

الأزهر وثورة ١٩١٩ :

لقد ظهرت الدعوة إلى الجنوح بالأزهر ليبعد عن السياسة مع مطالع القرن العشرين، لكن هذه الدعوة كانت بإيعاز من الخديوى إلى الشيخ الشربينى شيخ الجامع الأزهر عندما قال : (إنى رأيت الكثيرين من إخوانى خدمة العلم فى منصب المشيخه فوجدتهم أبعد الناس عن الاشتغال بالسياسة وأشهرهم فرارا من مظاهر الدنيا الباطلة) .

والأزهر كانت له فاعليته فى إشعال الثورات فى الوطن العربى، ففى عام ١٩١٩ م كان له أثره فى تبنى هذه الثورة .

فثورة الأزهر كانت بداية لثورة عام ١٩١٩ م ،لأنه كان المرآة التى يتطلع فيها كل الشعب المصرى ليرى فيها آماله ومطالبه .

والأزهر خرج علماء وزعماء كان لهم دورهم البارز الذى لا يمكن لنا أن نجهله أو نتجاهله .

وشهدت القاهرة فيما شهدته من نضال شعبى ضد قوات الاحتلال الانجليزى ، ثورة الأزهر العارمة يوم ٩ ، ١٠ مارس عام ١٩١٩ ، فكانت هاتان المظاهرتان وقوداً ألهب الحماس لدى كل فئات الشعب ليتبعوا الطريق الذى يسير فيه الأزهر، وكان شعار الثائرين

الاستقلال التام أو الموت الزؤام

فكانت هذه المظاهرات إيقاظا للشعب المصرى ليصحو من غفوته ويطالب بحقوقه. وهذه الثورة أفقدت الانجليز وعيهم، فنصبوا مدفعا ليضربوا به الأزهر، لكن شابا من شباب الأزهر انقض على الجندى الانجليزى من فوقه، وأوقعه أرضا، لكن رصاص الغدر الانجليزى لاحقه فأرداه شهيدا، وقد افتدى صرح الأزهر بدمه وروحه، وكان خطباء ثورة ١٩١٩ على رأسهم أبناء الأزهر الذين عاشوا فى رحاب صحنه الفسيح.

فالأزهر فى تاريخه ... كانت فتاواه هى النبراس الذى يسير على هديه الشعب ولقد حاول الانجليز منع الأزهريين، ودفعهم إلى المحاكم تلوح لهم الأحكام العرفية، بسيوفها المسلطة على رقابهم فكان الأزهر شعلة يهتدى بها كل ضال فى متاهات الوطنية.

وكان الأزهريون يوزعون المنشورات التى تدعو الشعب لدرجة يقال أنهم فى أعقاب ثورة ١٩١٩ أنشأوا جهازا بوليسيا أزهريا ليحفظ النظام أثناء المظاهرات التى كانت تجوب شوارع القاهرة.

ولما حاول الانجليز حصار الجامع الأزهر إبان اجتماعهم به، كانوا يدلفون من باب الجوهرية، الذى يطل على زقاق ضيق فكانوا يدخلونه، ويفاجأ الانجليز بانطلاق الجموع المحتشدة

من جوفه إلى أعماق القاهرة ثائرة هائجة غاضبة ، فكان الأزهر يلتف حوله كل الأفواه تنادى بالاستقلال .

فالأزهر أشعل نار ثورة ١٩١٩ ووجهها وقادها رجاله وعلماؤه وأبناؤه ، فضحى بهم ليكونوا قادة الكفاح ضد الاستعمار بشتى صوره ، حتى أتت ثورة يوليو ١٩٥٢ فأسهمت فى تطوير الأزهر تطويراً شاملا بعد كفاح السنين الطويلة من أجل الاستقلال الذى ناله الشعب المصرى أخيراً ، فهدأت ثورته واستراح بعد طول عناء وكفاح وجهاد وصبر .

وفى عام ١٩٥٦ .. اتجه الرئيس جمال عبد الناصر إلى منبر الأزهر وأعلن من فوق منبره الجهاد المقدس ضد المعتدين الذين اندحروا عن مصر .

شيوخ الأزهر وعلماؤه

قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[1] .

« صدق الله العظيم »

علماء الأزهر الشريف إبان عهد المماليك :

ابن دقيق العيد :

لقد شهد الأزهر في العهد المملوكي من العلماء الإمام ابن دقيق العيد الذي كان فقيها متبحرا في الأدب والفقه وكانت له أياد بيضاء في التدريس بالجامع الأزهر . وكان مالكيا وشافعيا في آن واحد ، وكان عالما متبحرا في هذين المذهبين ، وهذه كانت خلة قلما يصل إلى مرتبتها عالم ، وتقلد منصب (قاضي القضاة) إبان عهد الملك المنصور حسام الدين لاجين في القرن الثامن الهجري ، ولقد أصدر ابن دقيق وهو في هذا المنصب مكتوبا موقعا عليه منه شخصيا إلى مجلس القضاة يحض القضاة على العدل وعدم موالاة الحكام والأمراء أو محاباتهم على أصحاب الشكايات والمظلومين وحثهم

[1] التوبة آية رقم : ١٢٢ .

على الإنصاف والعدل والمساواة ، ولقـد كانت له وقفة مشهورة مع الأمير المملوكى (منكوتمر) نائب السلطان وولى عهده من بعده ، ومما يجدر الإشارة إليه أنه حكم ضد نائب السلطان ، فلما أرسل إليه يستدعيه قال لرسوله صائحا :

« قل له إن طاعتك ليست واجبة على » ولقد جمع بعدها مجلس القضاء وقال فى جمعه :

« أشهدكم أنى عزلت نفسى باسم الله قولوا له يول غيرى » .

وقامت بعدها ثورة بين رجال القضاء ضد الحـكم القائم وبعدها اعتكف ابن دقيق فى بيته ، .

ولقد تبعه شيخ العلماء فاستقال من منصبه محتجا على موقف الأمير.

ولما علم السلطان بهذا الإضراب الجماعى فى سلك القضاء ، طلب حضور ابن دقيق لمقابلته فرفض ، لـكنه رضخ لرجاء زملائه العلماء والشيوخ فقابل السلطان الذى أخذ يرجوه فى العـودة إلى منصبه ويحـكم فى القضاء كيفما رأى .

ولقد كان ابن دقيق شاعرا ملهما ، وعاش طوال حياته فقيرا زاهدا ، عفيف النفس أو على حد قوله فى أشعاره :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة

وقعت بهـا فى حـيرة وشتات

فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى

وإن لم أبح بالصبر خفت مماتى

واعظم به من نازل بملمة

يزيل حياتى أو يزيل حياتى

الإمام محي الدين النووى :

كان الإمام محي الدين فقيه عصره إبان حياة الملك قطز والظاهر بيبرس، وكان شافعي المذهب ، وكان جريئا لدرجة أنه أرسل رسالة إلى السلطان بيبرس يتهمه فيها بالجور والظلم وأن رجاله يظلمون الأهالى والتجار بفرض ضرائب باهظة عليهم ، لكن السلطان كان شديد اللهجة فى رده على رسالة الإمام النووى - رحمه الله - ولقد استنكر حكم المماليك وجاههم محرما الأموال التى فى يد هؤلاء المماليك .

العالم المجاهد العز بن عبد السلام :

لقد شهد العصر المملوكى العالم الجليل الشيخ العز بن عبد السلام الذى كان معاصرا لعهد السلطان بيبرس فكان السلطان يخشى الإمام العز لدرجه أنه قال عندما رأى جنازته من تحت القلعة ثم قال : (اليوم قد استقر أمرى فإن هذا الشيخ لو قال للناس أخرجوا عليه لانتزع منى الملك).

فهذا يدل على مكانة هذا الشيخ فى عصره بين المصريين المعاصرين

ولقد كان يتحدى « بيبرس » ولا سيما بعد ما تآمر ضد الملك قطز واشترك فى مؤامرة اغتياله ، وكان قطز بطل أبطال موقعة (عين جالوت) ضد التتار الغزاة .

العالم جـــلال الدين السيوطى :

لقد شهد الأزهر عالما فاضلا هو العالم السيوطى الذى ولد عام ٨٤٩ هـ وتعلم على يد أساتذته علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق والحديث إبان القرن التاسع الهجرى . .

وكان والده من كبار علماء الأزهر الدارسين للعلوم الدينية وله عدة مؤلفات وتصانيف منها : حاشية على شرح الألفية لابن المصنف وحاشية على شرح النص، ورسالة فى الإعراب، وأجوبة على اعتراضات ابن المقرى على الحاوى . . .

وجلال الدين السيوطى قـد حفظ القرآن وهو دون الثمانى سنوات وقبل أن ينضم إلى الدراسة بالأزهر حفظ العمدة ، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية بن مالك ، ثم درس فى الأزهر التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ولقد بلغت كتب السيوطى ثلثمائة [1] كتاب . . وكلها فى التفسير والحديث والفقه

[١] أجاز مجمع اللغة العربية أن تكتب هذه الكلمة وأخواتها هكذا ثلاث مائة بإفراد الجزأين فى الكتابة .
الإشراف الفنى

وماشابه ذلك وله كتب فى التاريخ منها حسن المحاضرة وكانت له عدة رحلات قام بها إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب .

علماء فى العهد العثمانى :

لقد شهد هذا العهد الشيخ حسن الجبرتى والد عبد الرحمن الجبرتى وعمر مكرم والشيخ السادات . .

ولقد كان الشيخ حسن الجبرتى عالما بعلوم اللغة والشريعة والفقه والبلاغة والتفسير والرياضة والمسائل الفلكية التى اشتهر بها والحساب والهندسة والموازين والمكاييل التى قد برع فى أنواعها . .

وشهد أيضا هذا العصر ولده عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المشهور صاحب (يوميات الجبرتى) الذى حوى تاريخ الحملة الفرنسية على مصر وعصر محمد على ، ويعتبر هذا الكتاب حجة لتاريخ هذه الحقيقة لدرجة أنه كان فى كتاباته جريئا فى النقد لا يهاب حاكما أو واليا ولكن الوالى محمد على قد اغتاله غيلة وغدرا لأنه كان لا يجامل ولا يتملق للحاكم والأمراء من حوله .

ثورة الشيخ الدردير :

لقد كان الشيخ الدردير زعيما للثورة الأولى إبان حكم مراد بك وإبراهيم بك ضد طغيان الأمير يوسف الكبير الذى ساب أوقاف

الطلبة المغاربة فطلب منه الشيخ الدردير ردها فرفض .. فثار علماء الأزهر وأبطلوا الدروس والآذان والصلاة ، وأقفلوا باب الجامع الأزهر وأخذ الشعب يدعو على الأمراء الظالمين . ثم شكا الجماهير له من ظلم حسين بك شفت وجنوده فأوعز إليهم الشيخ الدردير بالثورة فهاجت جموع الشعب لدرجة جعلت إبراهيم بك يعتذر له .. ورد إلى الناس حقوقها ووبخ حسين بك شفت على ما قام به إرضاء الشيخ .

ولقد شهد محمد على أيضا عالما أزهريا ثانيا كان يرهبه وهو الشيخ على الصعيدى الذى كان الوالى ينحنى على يده ليقبلها تملقا وخوفا وهلعا منه .

الشيخ حسن العدوى :

يعتبر من كبار العلماء ومن أقطاب المؤتمر الوطنى إبان ثورة عرابى الذى أمر بعزل الخديوى وتفويض عرابى سلطة الدفاع عن الوطن وكان إبان محاكمته جريئا .. ولأول مرة يدخل شخص على السلطان عبد العزيز فى زيارته لمصر إبان عهد إسماعيل دون أن ينحنى وكان هذا الشيخ حسن العدوى لدرجة جعلت السلطان يقول لإسماعيل خديوى مصر : ليس لديكم عالم سواه .

ولقد شهد الأزهر زعماء من أبنائه هم الزعيم أحمد عرابي ، وسعد باشا زغلول ، والشيخ محمد عبده .

فلقد نادى عرابي بالاستقلال ونادى سعد زغلول بالجلاء . .

أما الشيخ محمد عبده فلقد كان مفتيا للديار المصرية وعضوا بمجلس إدارة الأزهر وكانت له دعوة للإصلاح والتجديد به ولقد عني بشئون الجامع واستطاع بشخصيته وآرائه أن ينظم مرتبات المدرسين وأن يضع لهم نظاما ثابتا لحضور الدرس بالأزهر . وحضور الطلبة عليهم وانتظامهم . . وطالب بإدخال العلوم المصرية الحديثة ونادى بتدريس الفلسفة وسعى لدى الحكومة لإصدار قانون (١٨٩٠ م) الذي كان يعتبر قانون تطوير للأزهر لكنه اضطر إلى الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر عام ١٩٠٥ م .

(مشايخ الأزهر)

لقد كانت مشيخة الأزهر قبل العهد العثماني لها نظام خاص بها فلقد كان إبان الفاطميين يطلقون على شيخ الجامع لقب (المشرف) ثم سمي بعدها (الناظر) حتى القرن السابع عشر أدخل السلطان سليم الأول نظام مشيخة الأزهر « شيخ الجامع الأزهر » ويقال إن أول من عين شيخا للجامع الأزهر هو الشيخ محمد عبد الله

الخرشي عام (١٦٩٠م) .. وكان شيخا للمذهب المالكى ثم تعاقبت من بعده ثلاث وأربعون مشيخة للأزهر الشريف . . وهى : —

(١) مشيخة الشيخ محمد عبد الله الخرشى : (مالكى)

ولد عام ١٠١٠ هـ/١٦٠١م ومات عام (١١٠١ هـ/١٦٩٠م)

وهوأول من تعين شيخا للجامع الأزهر .. ليقوم بصفة رسمية للإشراف على شئون الأزهر وإدارته وتصريف أموره . . والشيخ الخرشى كان مالكى المذهب وله عدة مؤلفات منها فتح الجليل والشرح الكبير والفرائد السنية فى حل ألفاظ السنوسية والأنوار القدسية فى الفرائد الخرشية) .

(٢) مشيخة الشيخ إبراهيم البرماوى : (شافعى)

تولى مشيخة الأزهر فى (١١١٠ هـ/ ١٦٩٠ م) وظل بها حتى عام (١١٠٦ هـ/ ١٦٩٤ م) حتى مات .

والشيخ البرماوى له عدة مؤلفات وحواشى فقهية قيمة كذلك له مصنفات كثيرة لدرجة جعلته حجة عصره فى فقه الشافعية .

(٣) مشيخة الشيخ محمد النشرتى : (مالكى)

تولى مشيخة الأزهر من عام (١١٠٦هـ/١١٢٠ هـ) (١٦٩٤ م /

١٧٠٨ م) وكان له شأن فى التدريس بالأزهر وكانت له منزلته العلمية ولما تولى المشيخة كان يواظب على حلقاته الدراسية باستمرار طوال ١٤ عاما قضاها شيخا للأزهر .

(٤) مشيخة الشيخ عبد الباقى القلينى : (مالكى) .

لقد تعين الشيخ القلينى بعد عدة معارك مع الشيخ الدفراوى لدرجة استعمل الخصمان البنادق والرصاص داخل حرم الجامع الأزهر ، وقتل بعض أنصار الدفزاوى وأغلقت أبواب الأزهر ومنعت فيه الصلاة وحطمت قناديله لدرجة حجر فيها على الشيخ الدفراوى فى بيته ونفى الشيخ محمد شنن إلى بلدته . .

تولى مشيخة الأزهر (١١٢٠ هـ/١٧٠٨ م) ولقد تتلمذ على يد الشيخ البرماوى والشيخ النشرتى وكان يشجع طلابه على البحث والتقصى .

(٥) الشيخ محمد شنن : (مالكى)

كان شيخا للجامع الأزهر وكان من تلاميذ الشيخ القلينى وفقيها وعالما بالمذهب المالكى ..

٦ — مشيخة الشيخ إبراهيم الفيومى : (مالكى)

ولد عام ١٠٦٢هـ/ ومات عام (١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م) ولقد تولى

للمشيخة (١١٣٣هـ/١٧٢١) . [1]

٧ – مشيخة عبد الله الشبراوى : (شافعى)

ولد عام (١٠٩١هـ/١٦٨٠م) وكان تلميذ الشيخ القلينى والشيخ الفيومى والشيخ الخرشى .. تولى المشيخة وعمره ٤٥ سنة فى عام (١١٣٧هـ/١٧٢٥م) حتى عام (١٧٥٧م) ويعتبر الشيخ الشبراوى من كبار العلماء الشافعية وله عدة مؤلفات منها :

(مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف .

وشرح الصدر فى غزوة بدر .

ونظم الأجرومية فى قواعد النحو ..

ومات عام ١١٧١هـ عن ثمانين عاما ..

ولقد سمى الشيخ الشبراوى العلوم التى كانت تدرس بالأزهر بأنها (فروض وكفاية) أى أن الدراسة مباحة لكل من يبتغيها أو يطلبها فلا تفرض على شخص أى ثقافة ، ولكنها ميسرة لكل من ينهل منها عصيرا فكريا .. والشيخ الشبراوى كان يهوى جمع التحف والنفائس والكتب .

---

[١] ومن آثاره العلمية : شرح على « العزية » فى فن الصرف ، وهو فى مجلدين «تراجم الأزهر فى ١٢ عاما » .
الإشراف الفنى

٨ — مشيخة الشيخ محمد سالم الحفني . (شافعى)

من مواليد عام [١١٠٠هـ / ١٦٨٩م] .

ولقد تولى المشيخة عام (١١٧١هـ) / ١٧٥٧م إلى أن مات عام) (١١٨١هـ / ١٧٦٧م) . . وللشيخ الحفنى عدة مؤلفات منها [الثمرة البهية] وحاشية على شرح الأشمونى وحواشى أخرى على الجامع الصغير للسيوطى وشرح الشنشورى ومختصر للتفتازانى ..

٩ — مشيخة الشيخ عبد الرءوف السجينى : (شافعى)

كانت مشيخته رحمه الله عام (١٨٨١هـ / ١١٦٧م) لكنه مات بعدها عام (١١٨٢هـ / ١٧٦٨م)[1].

١٠ — مشيخة الشيخ أحمد الدمنهورى : [شافعى]

من مواليد عام (١١٠١هـ / ١٦٨٩م) .

ولقد كان عالما بالمذاهب الأربعة . ولقد أتى إلى الأزهر من بلدته دمنهور صغيرا ليدرس فى الجامع الأزهر .. ولقد درس المذاهب الأربعة فاستوعبها ودرس معها العلوم الإسلامية . وأصبح مدرسا - كما يقول (دودج) عنه - فى رحاب سيدنا الحسين . . وفى عام (١٧٦٢م) أدى الشيخ الدمنهورى فريضة الحج . ولقد درس العلوم الأغريقية ولذا نجده قد درس الرياضيات والجبر والحساب

[١] كان رحمه الله من المعروفين بالعلم والتقوى والحكمة وحسن تدبير الأمور ، وقد ساس الأمور بالأزهر خلال هذه المدة القصيرة سياسة حكيمة . الإشراف الفنى

والهندسة وكان مهتما بالفلك وحركة الشمس والأجرام السماوية وكان مهتما أيضا بعـــلوم التشريح وأسباب الأمراض ولدغ الثعبان وعلاج البواسير .

لقد أصبح مدرسا للمذاهب الأربعة حتى عين شيخا للجامع الأزهر عام (١١٨٢ هـ/١٧٦٧ م) وظل بالمشيخة حتى مات عام (١١٩٠ هـ/١٧٧٦ م) .

والشيخ الدمنهورى كان له سند يبين الدراسة فى الأزهر إبان القرن الثامن عشر وهذا السند يعتبر بحق وثيقة تاريخية بالنسبة للعلوم الدراسية التى كانت تدرس بالأزهر .

فالشيخ الدمنهورى رغم عهود الإظلام التى خيمت على مصر وعلى الأزهر حاول الشيخ أن يطور الدراسة بالأزهر .. ولقد درس على يد الشيخ الزعترى الفرائض والميقات والجبر والمقابلة ودرس على الشيخ القرافى علوم الأمراض وعلى يد الشيخ الدمياطى درس علوم الفلك وعلى يد الشيخ سلامه الفيومى الهندسة .

وللشيخ الدمنهورى عدة مؤلفات فى الحديث والمنطق والبلاغة والأخلاق والفقه والجيولجيا والطب والنصوص والتوحيد والهندسة والكيمياء .

وبعدوفاته تعطلت مشيخة الأزهر حتى عام (١١٩٢هـ/١٧٧٨م).

١١ — مشيخة أحمد العروسى: (شافعى)

من مواليد (١١٣٣ هـ/ ١٧٢١ م).

كان معاصرا للشيخ على الصعيدى من كبار علماء الأزهر وأحد العلماء الذين تصدوا لمحمد على .. ولقد كان الشيخ العروسى مصلحا فى عهده، ومن مواقفه الوطنية أنه وقف أمام القاضى العثمانى الذى يعلن منشور الخلافة السلطانية بخصوص إلغاء بعض الأوقاف الخيرية فلما وجد الشيخ العروسى أن الدولة العثمانية بدأت تجور على أموال المصريين وتنهبها هب الشيخ العروسى قائلا (إننى لا أعبأ أن يكون الحاكم من العثمانيين أو من المماليك إنما أبحث عن مصالح الناس وأموال المسلمين) .. ثم صاح من حوله فى جموع الأتراك قائلا (أخرجوا إليهم للحرب ساعة فإما أن تغلبوا أو تغلبوا وسنستريح من الجميع). ولقد كان رقيق الطباع مليح الأوضاع لطيفا ومهذبا.

ولقد توفى رحمه الله عام (١٢٠٨ هـ/ ١٧٩٣ م) وللشيخ عدة مؤلفات فى التصوف الإسلامى والبلاغة. وله قصائد فى الغزل ..

٢ — مشيخة الشيخ عبد الله الشرقاوى : [شافعى]

لقد قال عنه نابليون (أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لسانا وأكثرهم علما وأصغرهم سنا) .. فلقد كان للشيخ الشرقاوى رحمه الله مواقف بطولية أفاض التاريخ المصرى بروعتها .. ولا سيما ضد الفرنسيين والوالى محمد على وخورشيد باشا ، وقد أشادت بمواقفه كل الكتب التاريخية التى أرخت لهذه الفترة .. حتى الفرنسيين أنفسهم كما ورد فى كتاب [وصف مصر] باللغة الفرنسية قد أشادوا بوطنيته .

والشيخ الشرقاوى رحمه الله من مواليد عام [١١٥٠هـ/١٧٣٧م] ولقد تولى مشيخة الأزهر من عام [١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م] إلى عام (١٢٢٧هـ / ١٨١٢م) .

ولقد كان الشيخ الشرقاوى مشهورا بعمامته الكبيرة أو على حد قول الجبرتى معلقا عليها : بأنه بعد تولية مشيخة الأزهر (فزاد فى تكبير عمامته وتنظيمها حتى كان يضرب بعظمها المثل) .

والشيخ الشرقاوى لما جاء نابليون إلى مصر اختاره رئيسا للديوان العام الذى كان يضم الأعيان والعلماء ورئيسا لديوان

القاهرة الذى كان مهمته الإشراف على شئونها ، ويروى عن الشيخ الشرقاوى أن (نابليون) أراد أن يكرمه فوضع على كتفه (نيشانا فرنسيا مثلث الألوان) أمام الأعيان والعلماء والفرنسيين ، لكنه رمى هذا النيشان بين قدمى (نابليون) فاغتاظ منه .

والفرنسيون بعد مقتل (كليبر) قدموا الشيخ الشرقاوى للمحاكمة بتهمة تحريض سليمان الحلبى على قتل القائد الفرنسى بخنجره ، لكن ثبتت براءته فأفرج عنه .

ولما وجد الشيخ الشرقاوى أن الفرنسيين قد ضيقوا الخناق على نشاط الأزهر أمر الشيخ الشرقاوى بقفل أبوابه حتى دالت الحملة الفرنسية من الأراضى المصرية فقفلها من يونيو ١٨٠٠م إلى يونيو ١٨٠١ م .

ولقد ألقى القبض عليه مع ثلاثة من العلماء إبان حكم (مينو) (Menu) للتحفظ عليهم خشية إشعالهم الثورة ضد الحكم الفرنسى الذى بات مهددا من الانجليز ، وأودعهم فى سجن القلعة لمدة مائة يوم ، وكان من بين العلماء المعتقلين الشيخ عبدالله الشرقاوى .

وإبان الحكم العثمانى ، كانت للشيخ الشرقاوى وقفته ضد إبراهيم بك ومراد بك ففى عام (١٢٠٨ هـ ــ ١٧٩٥ م) . يعرف

أن ثورة قامت من الأزهر وكان على رأسها الشيخ الشرقاوى الذى استقطب حوله العلماء والأعيان .

ومما يروى عنه أنه قال لرسول إبراهيم بك « أيوب بك الدفتردار » : (نريد العدل ورفع الظلم) .

والشيخ عبد الله الشرقاوى علاوة على ثوراته مؤلفات عدة فى اللغة والتوحيد والتصوف والتاريخ .

ويقول الجبرتى عن هذه المؤلفات بأن له مؤلفات بها حاشيته على التحرير ، وشرح نظم يحيى العمريطى ، وشرح العقائد المشرفية والمتن له أيضا وشرح ، مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ، وغير هذه الكتب والرسائل .

والجبرتى قد اتهم الشيخ الشرقاوى بالجنون أو على حد قوله : (حصل له اختلال فى عقله ، واتهمه بأنه كان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته) ، إبان وجود الحملة الفرنسية لدرجة إعفاء كثير من الضريبة عقب ثورة الشعب .

لكن الشيخ الشرقاوى بحق يعتبر أول من خرج بمشيخة الأزهر من عزلتها إلى تحدى الحاكم وأمره وتوجيهه ، ومن هذه

الفترة بدأ النشاط السياسي للأزهر ، حتى أصبح لمشيخته دور سياسي ووطني مشهود .

١٣ — الشيخ محمد الشنواني : (شافعي)

لقد تولى المشيخة بعد إلحاح العلماء والطلاب عليه ولقد كان عازفا عنها حتى وافق وتولاها عام (١٢٢٧هـ - ١٨١٢م) وظل بها إلى عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م) والشيخ الشنواني كان أيضا من المناضلين الذين أسهموا فى الحركات الوطنية إبان عصره ولا سيما ضد الفرنسيين .

وروى عنه الجبرتي : (أنه كان يعمر ثيابه ويكنس مسجد الفكهاني بيده ويسرج قناديله ، ولما طلب لمشيخة الأزهر امتنع واختفى فى مصر القديمة حتى أرغم عليها وبقى وهو شيخ للأزهر ملازما لمسجد الفكهاني لم يتخل عن كنسه وإسراج قناديله حتى مات . وللشيخ الشنواني عدة مؤلفات فى التوحيد والحديث والبلاغة والوضع .

١٤ — مشيخة الشيخ محمد أحمد العروسي : (شافعي)

كان والده شيخ الجامع الأزهر وقد خلفه فى التدريس بالأزهر من بعده ، ولقد تولى المشيخة عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٨ م) إلى عام (١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م) ويؤثر عنه أنه كان مواظبا على التدريس بالجامع الأزهر حتى بعد توليه المشيخة .

١٥ — مشيخة الشيخ أحمد الدمهوجى : (شافعى)

ولد عام ١١٧٠هـ/١٧٥٦ م) .

تولى للشيخة عام (١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٠ م) واستمرت مشيخته ستة أشهر .

١٦ — مشيخة الشيخ حسن العطار :

ولد عام (١١٨٠ هـ) وكان والده عطارا فقيرا .

ولقد تولى الشيخ العطار مشيخة الأزهر عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٠م) وتوفى عام (١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) ولقد كان يعتبر إبان عصره إمام المثقفين المصريين ، فلقد درس الطبيعة والهندسة والمنطق والفلك ، وعلوم الحيل ، والأدب والرياضة ، ولقد كان شيخا مصلحا للجامع الأزهر ، لأن جملة إصلاحاته كانت تتجه الوجهة الفكرية لأنه كان متأثرا بالثقافة العلمية التى شهدها لدى الفرنسيين ، ولقد كان من هواة الترحال والسياحة ، فلقد زار دمشق وألبانيا وعدة بلدان ، وكان يهوى الموسيقى ، فلقد درسها وأجاد فنونها .

[١] كان رحمه الله تعالى معروفا بدقته العلمية ، وبعده من مظاهر الحياة ومشاغلها وانقطاعه الكامل للعلم ، ولقد وزع وقته بين الدروس فى الأزهر والعبادة بالمسجد نفسه « واجع الأزهر فى ١٢ عاما » . الإشراف الفنى

لقد قال الشيخ حسن العطار عند ما شاهد الحملة الفرنسية : (إن بلادنا لا بد وأن تتغير أحوالها ، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها) ويتعجب مما وصلت إليه تلك الأمة (الفرنساوية) من المعارف والعلوم ، وكثرة كتبهم وتحريرها ، وتقربها لطرق الاستفادة) .

فالشيخ العطار يعتبر مصلحا فى مصاف جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وكان ثائراً لتطوير الأزهر لدرجة أثرت فى تلاميذه من بعده ، فلقد سبق الكثيرين من المصلحين للأزهر ووضع بذرة الإصلاح الثقافى فى عهده لتتلقفها الأجيال من بعده ، ولقد كان من تلاميذه رفاعة الطهطاوى .

ونرى من تهافته على المعرفة وتعلقه بها أن كتب فى حاشيته على (شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع) « أن من تأمل ما سطرناه وما ذكر من التصدى لتراجم الأئمة الأعلام علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية والأحكام الدينية لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم وإحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى فى كتب المخالفين والعقائد والفروع يدل على ذلك النقل عنهم فى كتبهم ،

والتصدى لدفع شبههم ، وأعجب من ذلك تجاوزهم إلى النظر فى كتب غير أهل الإسلام» .

والشيخ العطار - لا شك - كانت لديه نزعة إلى التعلم والاطلاع على العلوم العصرية التى كانت فى عصره ، فلقد ذكر لنا فى كتابه تجربة أجراها عندما وضع قارورة مقلوبة فوق سطح الماء ، وشاهد تأثير الضغط الهوائى على سطحه - وتأثيره فى عملية التوتر السطحى (Surfuce Tension) ولقد عبر عن هذه التجربة بأنها (عقليات لا برهانيات) .

والشيخ حسن العطار كان يهوى مع الموسيقى عدة فنون . . وله ديوان فى الشعر ، وكتاب فى المنطق والنحو ، ورسالة فى كيفية عمل الاسطرلاب ، وكان له هوامش على كتاب (تقديم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة) ، ولقد كان الشيخ العطار كما يقول عنه تلميذه رفاعة الطهطاوى : يطلع على الكتب المعربة من تواريخ وغيرها ، وكان له ولع بسائر المعارف البشرية ، مع غاية الديانة والصيانة ، وله بعض تآليف فى الطب وغيره زيادة على تآليفه المشهورة ، فلقد تشبث من الآن قصاعداً نجباء أهل العلم الأزهريين بالعلوم العصرية ففازوا بدرجة الكمال) .

١٧) مشيخة الشيخ حسن القويسنى (شافعى):

لقد تعين شيخاً للجامع الأزهر عام ١٨٣٤ م وظل بالمشيخة حتى عام ١٨٣٨ م[1].

(١٨) مشيخة الشيخ أحمد عبد الجواد (شافعى):

تولى المشيخة من عام (١٢٥٤ هـ/١٨٣٨ م) وبقى بها إلى أن توفى عام ١٢٦٣ هـ ١٨٤٧ م).

(١٩) مشيخة الشيخ إبراهيم البيجورى (شافعى):

تولى المشيخة من عام (١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧ م) إلى عام (١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠م) وفى مشيخته حدثت عدة اضطرابات لدرجة أن آل الإشراف على الأزهر للجنة مشكلة من الشيخ مصطفى العروسى والشيخ أحمد العدوى (مالكى) والشيخ إسماعيل الحلبى (حنفى) والشيخ خليفة الفشنى (شافعى) والشيخ مصطفى الصاوى (شافعى)[2] وهؤلاء قاموا بعمل الشيخ البيجورى حتى بعد وفاته فى عام ١٢٨١هـ ١٨٦٤ م. عندما عين الشيخ مصطفى العروسى.

---

[١] من مؤلفاته: رسالة فى المواريث فى الفقه، شرح على متن السلم فى المنطق.

[٢] كانت هذه اللجنة وكلاء عن الشيخ نظراً لتقدم سنه وتقدم العمر به، ومن مؤلفاته: ١ - حاشية على مختصر السنوسى فى المنطق، ٢ - حاشية على متن السلم فى المنطق ٣ - حاشية على متن السمرقندية فى البلاغة، ٤ - المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية فى الحديث، ٥ - منح الفتاح على ضوء المصباح فى الفقه. الخ. الإشراف الفنى

(٢٠) مشيخة الشيخ مصطفى العروسى :

كان شيخا للجامع الأزهر أبا عن جـد ، وكان عهده يعتبر عهد إصلاحات بالأزهر عندما طرد كل من يدرس بالأزهر دون أهلية هلية . . وعقد للمدرسين به امتحانا ، لـكن التيارات حالت دون تحقيق ذلك . . فلقد عزل من المشيخة عام ١٢٨٧ هـ /ـ ١٨٧٠ م)
لقد كان الشيخ العروسى مصلحا فى عهده عندما حاول أن يجعل من علماء الأزهر إدارة فعالة للنهوض بالدواوين الحكومية والقضاء، نخطا فى طريق الإصلاح للأزهر خطوة عندما كان يختار لدواوين الحكومة والقضاء والمدارس الحكومية خيرة تلاميذه . .

(٢١) مشيخة الشيخ محمد العباسى (حنفى):

أول شيخ حنفى يتولى منصب شيخ الجامع الأزهر وكان يجمع مع المشيخة منصب الإفتاء . .

والشيخ العباسى من مواليد عام(١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م)وكان قبل تولى المشيخة مفتيا للديار المصرية وتولى المشيخة عام١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م)
والشيخ العباسى أول من وضع نظام العالمية بالأزهر وجعل الامتحان بها ونيلها شرطا أساسيا للعمل فى الوظائف سواء للتدريس بالأزهر أو العمل بالحكومة وأصبح لها ثلاث درجات من الامتحان والدراسة . . ولقد استصدر من الخديوى قرارا ـ بقانون عام (١٨٧٢ م) الذى جاء فيه عدة إصلاحات للأزهر .

والشيخ العباسي كان معاصر الخديوي إسماعيل كشيخ للجامع ومفتيا وقانون سنة ١٨٧٢ م الذي صدر في مشيخته كان خطوة هامة في سبيل جعل الأزهر له مكانته العلمية ولاسيما وأن البعض كان يتمسح به ليتوارى خلفه في سبيل الإعفاء من الجندية أو لينال الجراية وهم غير أهل لها . .

وهذا القانون بين أن علوم الأزهر أحد عشر علما من مختلف العلوم الدينية ، وكانت هذه العلوم أساس الامتحان في التعيين بهيئة التدريس بالأزهر وجعل للتعيين هيئة من ستة علماء يمثلون المذاهب الثلاثة (الشافعي والحنفي والمالكي) .

وللشيخ العباسي عدة مؤلفات في الفقه والمذهب الحنفي الذي كان عالما وفقيها في أصوله[1] .

(٢٢) مشيخة الشيخ شمس الدين الانبابي (شافعي) .

من مواليد عام (١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م) .

تولى المشيخة عام (١٢٩٩ هـ / ١٨٨٧ م) إلى عام (١٣١٢ هـ ١٨٩٥) . . لأنه لما تركها في المرة الأولى عاد لها ثانية عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٥ م) .

[١] من مؤلفاته : الفتاوى المهدية ، رسالة في تحقيق ما اشتهر من تلفيق ، رسالة في مسألة الحرام . الإشراف الفني

والشيخ الانبابي فتوى بإدخال العلوم العصرية بالأزهـر ، وله عدة حواشي وتقارير في النحو والفقه [1] .

ويروى عن الشيخ الانبابي أنه لم يقم للورد « كرومر » عندما أتاه وصافحه وهو جالس لدرجة أن كرومر قال له : (لو صافحك الخديو هل ستقف إليه . ؟ أجابه الشيخ الأنبابي قائلا : (لا أقف لك لأنك لست منا .) قال هـذا القول في وقت كان الخديوى فيه يرهب كرومر . ويتملق إليه .

(٢٣) مشيخة الشيخ حسونه النواوى (حنفى) :

لقد جمع بين منصب شيخ الأزهر ومنصب مفتى الديار المصرية وهو من مـواليد عام ١٢٥٥ / هـ ١٨٣٩ م . وعين شيخاً للجامع الأزهر عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٩ م وظل بهذا المنصب حتى عام (١٣١٧هـ ١٩٠٠ م) . وتركه ثم عاد إليه عام (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م) ، وقد توفى رحمه الله عام ١٩٢٤ م بعد أن ظل في بيته عدة سنوات .

وفى مشيخة الشيخ حسونه صـدر قانون لتنظيم الأزهر عام ١٨٩٥ م وهذا القانون استهدف تنظيم الأزهر من الناحية الإدارية وعقبه شكل مجلس إدارة الأزهر . وبين هـذا القانون

[١] ومن مؤلفاته : تقرير على حاشية العطار على الأزهرية فى النحو ، تقرير على حاشية الشجاعى على القطر ، تقرير على شرح الأشمونى ، تقرير على حاشية البرماوى فى الفقه . الإشراف الفنى

كيفية الدراسة بالأزهر وكفل انتظامها وأدخلت بالأزهر علوم لم تكن تدرس به من قبل كالحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والتاريخ والخط. ولقد بين هذا القانون أن مدة الدراسة بالأزهر ١٢ عاما، يعطى للطالب بعد ثماني سنوات شهادة (الأهلية) ثم بعدها يعطى (العالمية) بعد أن يكون قد أمضى أربع سنوات

(٢٤) الشيخ عبد الرحمن النواوي (حنفى):

كان الشيخ عبد الرحمن النواوي بعيدا عن جو الأزهر وعن العمل بالأزهر طوال خدمته بالحكومة، فلقد كان يسلك سلك القضاء، حتى مات عن ستين عاما ويزيد [1].

(٢٥) الشيخ سليم البشرى (مالكى):

من مواليد عام (١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م)، ولقد تولى المشيخة الأولى عام (١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م) (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٤ م) ولقد كان رئيسا للجنة إصلاح الأزهر وقدم مشروع الإصلاح الذى أصبحت تبعا له رئاسة الأزهر لشيخ الجامع، وأصبحت مشيخته مشيخة نظامية.

وللشيخ البشرى عدة كتب فى الأدب والتوحيد والنحو.

---

[١] تولى من الوظائف قبل المشيخة: ١ - إمامة فتوى مجلس الأحكام عام ١٢٨٠هـ ٢ - قضاء مديرية الجيزة عام ١٢٩٠هـ، ٣ - قضاء مديرية الغربية عام ١٢٩٦هـ، ٥ - قضاء الإسكندرية، ٥ - الافتاء بالحقانية عام ١٣١٣. الإشراف الفنى

(٢٦) الشيخ على الببلاوى (حنفى) :

تولى مشيخة الأزهر عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٤م) ولكنه استقال منها عام ١٣٢٣ هـ وتوفى بعدها .

والشيخ الببلاوى كانت مؤلفاته تدرس بالأزهر ولو أنه كان بعيدا عنه عند ما كان يعمل بدار الكتب المصرية .

(٢٧) مشيخة الشيخ عبد الرحمن الشربينى (شافعى) :

تولى المشيخة عام (١٣٢٣ هـ) واستقال بعدها ، وكان من علماء الأزهر الذين اشتغلوا بمهنة التدريس به .

والشيخ الشربينى له عدة مؤلفات فى الفقه وللمنطق والبلاغة .

٢٨ ـ مشيخة الشيخ أبو الفضل الجيزاوى (مالكى) :

من مواليد عام (١٢٦٤ هـ ـ ١٨٤٧ م) فى محافظة الجيزة مكان ميلاده ولقد اشتغل طوال حياته بالأزهر وعين شيخا لمعهد الإسكندرية الدينى . ثم تعين عام (١٣٣٥ هـ) شيخا للجامع الأزهر إلى أن توفى .

وفى عهده صدر قانون (١٩٢٣ م) لتنظيم الدراسة بالأزهر ، وللشيخ الجيزاوى مؤلفات فى الفقه [1] .

[١] ومن مؤلفاته : ١ ـ الطراز الحديث فى فن مصطلح الحديث ، ٢ ـ حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجى . الإشراف الفنى

٢٩ ـ مشيخة الشيخ الإمام محمد مصطفى المراغى :

من مواليد (١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١ / م) بمحافظة سوهاج ، عين قاضيا بالسودان ثم مفتشا بالأوقاف ثم رئيسا للمحكمة الشرعية ولقد كان بعيدا عن الأزهر لكنه كان متأثرا بروح التطوير فيه .

تعين شيخا للجامع الأزهر عام (١٩٢٨ م) وبعدها استقال عام (١٩٣٠ / م) لخلاف مع الملك فؤاد . وفى عهده وضع مشروع قانون الأزهر وتطويره ، ولقد كان من قبل رئيسا للجنة إصلاح الأزهر . فجعل الدراسة به أربعة مراحل :

المرحلة الابتدائية

« الثانوية

« العالية

« التخصصية

والشيخ المراغى له عدة مؤلفات فى تفسير بعض سور القرآن وغيره من الكتب [1] .

٣٠ ـ مشيخة الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى :

من مواليد عام (١٢٩٥ هـ ـ ١٨٧٨ م) ولقد كان تلميذا للشيخ محمد عبده وتدرج بعد تخرجه من الأزهر فى عدة مناصب

[١] ومن مؤلفاته : (١) بحث فى ترجمة القرآن الكريم ، (٢) كتاب الأولياء والمحجوبين فى الفقه وقد تولى منصب القضاء بالسودان فى فترتين . الخ . الإشراف الفنى

أزهرية ، فلقد كان شيخا لمعهد طنطا الذى كان له فيه نشاط بارز ، فلقد أنشأ به جمعية التوحيد وجماعة الخطابة ومجلة للمعهد ، وإبان عهد السلطان حسين كامل ضم الشيخ الظواهرى إلى المجلس الأعلى للأزهر حتى اختير عام (١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م) شيخا للجامع الأزهر وتعين عام ١٩٣٠ م وفى عهده صدر قانون سنة ١٩٣٠ م الذى قسم الدراسة فى القسم العالى إلى كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية وحدد أقسام التخصص :

إما تخصصا فى المادة .

أو المهنة [1] .

وفى عهده أرسل بعثتين إلى الصين والحبشة للتبشير الإسلامى بها واستطاع إبان مشيخته إلغاء مدرسة القضاء الشرعى والاستعاضة عنها بكلية الشريعة .

والشيخ الظواهرى هو أول من أطلق لقب (الجامع الأزهر) على الكليات وأقسام التخصص بالأزهر وسمى المعاهد التابعة له بالمعاهد الدينية .

وله كتاب (العلم والعلماء) الذى وضع فيه الأسس التى ينهض

[١] تخصص المهنة يشمل : (١) تخصص الدعوة والإرشاد ، (٢) تخصص التدريس ، (٣) تخصص القضاء الشرعى . الإشراف الفنى

بها الأزهر الشريف وكيفية الدراسة به وإصلاحه ، واستقال رحمه الله عام ١٩٢٥ م .

المراغى مرة أخرى

عودة الشيخ مصطفى المراغى إلى مشيخته الثانية للأزهر الشريف عام ١٩٣٥ م عقب استقالة الشيخ الظواهرى ، وظل شيخا للأزهر حتى عام ١٩٤٥ م وصدر فى هذه الفترة قانون سنة ١٩٣٦ م الذى ألغى العمل فى الأزهر بقانونى عام ١٩٢٣ م وعام ١٩٣٠ م .

٣١ ـ مشيخة الشيخ مصطفى عبد الرازق :

من مواليد (١٣٠٤ هـ ـ ١٨٨٥ م) محافظة المنيا :

ولقدسافر إلى فرنسا للتزود بالثقافة الأوربية ولقد درس الفلسفة والأدب الفرنسى بفرنسا ، وقدعين وزير للأوقاف. لأنه كان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين . وهو أول شيخ للأزهر يعين فى عصره دون أن يكون عضوا بهيئة كبار العلماء .

لقد تعين شيخا للأزهر عام ١٩٤٥ م وبقى بالمشيخة حتى توفى عام ١٩٤٧ م

والشيخ مصطفى عبد الرازق ـ رحمه الله ـ كان له عدة مؤلفات فى الفلسفة والتوحيد والأدب والمنطق[1].

[١] ومن مؤلفاته : (١) التمهيد لتاريخ الفلسفة ، (٢) فيلسوف العرب والمعلم الثانى ، (٣) الإمام الشافعى ، (٤) الدين والوحى فى الإسلام . الإشراف الفنى

(٣٢) مشيخة الشيخ محمد مأمون الشناوى :

من مواليد (١٨٧٨ م) تعين بالقضاء الشرعى عقب تخرجه من الأزهر ثم عين بعدها شيخا لكلية الشريعة ثم تعين شيخا للأزهر عام ١٩٤٨ م عقب وفاة الشيخ مصطفى عبد الرازق وظل بهـا حتى مات عام ١٩٥٠ م .

(٣٣) مشيخة الشيخ عبدالمجيد سليم (حنفى):

من مواليد عام ١٨٨٢ م ولقد كان رحمه الله وكيلا لجماعة كبار العلماء ومفتيا للديار المصرية . ولقد درس الفلسفة والمنطق حتى كان يلقب بين أقرانه بابن سينا . ولقد كان الشيخ سليم تلميذا للشيخ محمد عبده طيلة خمس سنوات فى الرواق العباسى . وكان يعتبر من أعلام الفقه والقانون الإسلامى .

ويروى عن الشيخ سليم عدة مواقف[1] أمام سلطان القصر الملكى . ولقد كان يدعو طوال حياته ضمن دعواته إلى إلغاء الحزبية من مصر . ويروى عنه أيضا ثورته على الملك السابق فاروق ، على صفحات الصور عقب سفره إلى الخارج عندما قال .(تقتير هنا وإسراف هناك).

[١] وقد استقال من الإفتاء عام ١٩٤٦ حين وجد حكومة العهد الآبق تريد التدخل فى شئون الأزهر ، وقال لمسئول حذره من خطر سياسته : « إنى ما دمت أتردد بين بيتى والمسجد فلا خطر على .... » . الإشراف الفنى

والشيخ سليم يذكر عنه أنه أسهم مشكورا التقريب بين المذاهب الإسلامية حتى مات عام (١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م) .

(٣٤) مشيخة الشيخ أحمد حروش :

من مواليد (١٨٨٠ م) وكان تلميذا للشيخ محمد عبده وكان أول تعيينه بالأزهر، وارتقى إلى أن وصل إلى شيخ كلية الشريعة .. ثم تولى المشيخة عام ١٩٥١ م وتركها عام ١٩٥٢ م .

عـودة الشيخ عبـــد المجيد سليم ثانية شيخا للجامع الأزهر عام (١٩٥٢ م) وظل به حتى تركها فى نفس العام .

(٣٥) مشيخة الشيخ محمد الخضر حسين :

من مواليد عام (١٢٩٣ هـ) بتونس، ولقد كانت له (مجلة السعادة العظمى) وله عدة مواقف ضد الاستعمار ـ ولقد كانت له عـدة جولات بالدول الإسلامية واستقر فترة فى الآستانة ، ولقد كان له عدة أنشطة فـكرية وأدبية واسعة .. وكان الشيخ الخضر رئيسا لتحرير مجلة (الأزهر) وعضوا بمجمع اللغة العربية ثم تولى رئاسة تحرير (لواء الإسلام) وعين عضوا بجماعة كبار العلماء .

وتولى عام (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) مشيخة الجامع الأزهر إلى أن استقال عام ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) وبعدها توفى عام ١٩٥٨ .

وللشيخ الخضر عدة مؤلفات أدبية وفكرية وله آراء في الفرق الإسلامية كالقاديانية والبهائية ، وله عدة قصائد شعرية منها قصيدته المشهورة (أعمار زائفة)[1] .

والشيخ الخضر كان يعرف عدة لغات، وكان أول شيخ للجامع الأزهر في عهد الثورة .

(٣٦) مشيخة الشيخ عبد الرحمن تاج (حنفي) :

من مواليد عام ١٨٩٦ م ولقد اشتغل عقب تخرجه بالتدريس بالأزهر حصل على الدكتوراه من فرنسا من جامعة السوربون عن (البابية) وتعين عام ١٩٥٤ م شيخا للأزهر ، وكان عضوا بجماعة كبار العلماء .

(٣٧) مشيخة الشيخ شلتوت (حنفي) :

من مواليد عام ١٨٩٢م البحيرة .

وللشيخ شلتوت عدة مؤلفات في الفقه والسنة والمذاهب الإسلامية والقرآن والقتال ... الخ .

ولقد تعين شيخا للأزهر عام ١٩٥٨ م حتى وفاته .

[١] ومن مؤلفاته : (١) كتاب القياس في اللغة العربية ، (٢) نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ، (٣) نقض كتاب : في الشعر الجاهلي ، (٤) وقد أخرجت السلسلة لفضيلته كتاب : القاديانية في الاسلام . الإشراف الفني

(٣٨) مشيخة الشيخ حسن مأمون :

كان شيخا للأزهر حتى عام ١٩٦٩ .

وقد كان مفتيا للديار المصرية وقبلها كان قاضيا بالسودان وكانت له مواقف ضد الاستعمار الانجليزى .

(٣٩) مشيخة الشيخ محمد الفحام :

تولى المشيخة عام ١٩٦٩م[1]، ولقد نال الدكتوراه من فرنسا، ويتولى حاليا مشيخة الجامع الأزهر، وله عدة مؤلفات فى الأدب واللغة ، وهو معروف بدماثة الخلق ورقة الذوق ورفيع الوقار . . نسأل الله تعالى له التوفيق .

---

[١] صدر القرار الجمهورى رقم ١٧٢٩ لسنة ١٩٦٩ بتعيين فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخا للأزهر فى ٥ من رجب سنة ١٣٨٩ الموافق ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٦٩ . الإشراف الفنى

الأزهر والثورة

صدر فى عهد الثورة [1] قانون تطوير الأزهر لعام ١٩٦١

الهدف من التطوير :

لقد استهدف قانون تطوير الأزهر ستة مبادىء – كما جاءت فى المذكرة الإيضاحية للقانون – وهى :

أولا : أن يبقى الأزهر وأن يدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

ثانيا : أن يظل كما كان منذ ألف سنة حصنا للدين والعروبة يرتقى به الإصلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى وفى كل بيئة ويذاد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به .

ثالثا : أن يخرج علماء وقد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والانتاج فى كل مجال بين مجالات العمل والإنتاج .

[١] « قانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها » هكذا سمى .. الإشراف الفنى

رابعا :

أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين فى كل مستوى وتتكافأ فرصهم جميعاً فى مجالات العلم ومجالات العمل .

خامسا :

أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين فى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين فى الجامعات والمدارس الأخرى مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان لتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن ويتحقق بهم للوطن وللعالم الإسلامى نوع من الخريجين المؤهلين للقيادة فى كل مجال من المجالات الروحية والعلمية .

سادسا :

ان توحد الشهادات الدراسية والجامعية فى كل الجامعات ومعاهد التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة .

أهم خصائص قانون التطوير :

١ — الأزهر :

بين القانون أن « الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى

التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب . كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكري للأمة العربية .. وتزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالمختصين وأصحاب الرأي فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن » .

وبين أن مقره القاهرة ويتبع رئاسة الجمهورية ويعين له وزير لشئون الأزهر بقرار جمهوري .

(٢) هيئات الأزهر :

١ — المجلس الأعلى للأزهر ..

٢ — مجمع البحوث الإسلامية

٣ — إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية [١] .

٤ — جامعة الأزهر .

٥ — المعاهد الأزهرية .

١ — المجلس الأعلى للأزهر :

للأزهر مجلس أعلى برأسه شيخ الجامع الأزهر ويتكون المجلس من وكيل الأزهر ومدير جامعة الأزهر وعمداء الكليات بجامعة

[١] إدارة الثقافة هي الجهاز التنفيذي لأعمال المجمع ومديرها هو الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، مادة ٢٥،٢٣ من القانون المذكور . الاشراف الفني

الأزهر .. وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وأحد وكلاء وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ومدير الثقافة والبحوث الإسلامية ومدير للمعاهد الأزهرية ، وثلاثة أعضاء لهم خبرة فى التعليم الجامعى .

اختصاصاته :

١ ـ رسم السياسة العامة للأزهر فى خدمة الفكرة الإسلامية .

٢ ـ رسم السياسة العلمية لجامعة الأزهر .

٣ ـ النظر فى ميزانية الأزهر وهيئاته .

٤ ـ بحث شئون الأزهر ومنح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر .

٥ ـ للمجلس أمين عام المجلس الأعلى للأزهر .

٢ — مجمع البحوث الإسلامية

« هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة » .

شيخ الأزهر هو رئيس المجمع . وللمجمع أمانة عامة تتكون من الأمين العام وأمين مساعد أو أكثر وعدد من الموظفين .

٣ — إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية

« تختص بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم فى نطاق أغراض الأزهر . وعليها نشر مقررات المجمع وبحوثه ودراساته » .

٤ ـ جامعة الأزهر

« تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره . وتأهيل عالم الدين المشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا »[1].

تتألف جامعة الأزهر من :

١ ـ كلية أصــول الدين :

بها أقسام للقرآن وعلومه ، وقسم للسنة وعلومها ، وقسم للتوحيد والفلسفة ، وقسم للأخلاق والاجتماع .

[1] وقد نص القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ على أن وظيفة مجمع البحوث الإسلامية أن يعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها ، مادة ١٥ .

الاشراف الفنى

٢ ـ كلية الشريعة والقانون :

بها أقسام للفقه الإسلامى ولأصول الفقه وللفقه المقارن والقانون .

٣ ـ كلية اللغة العربية :

بها القسم اللغوى، والقسم الأدبى، وقسم البلاغة ، وقسم أصول البلاغة ، وقسم أصول اللغة ، وقسم التاريخ والحضارة ، وقسم اللغات الأوربية والشرقية .

(٤) كلية المعاملات والإدارة :

يدرس بها إدارة الأعمال والمحاسبة والاقتصاد والمالية العامة والرياضيات والإحصاء والقانون والدراسات الإسلامية والدراسات النفسية والاجتماعية واللغات الأوربية الحديثة .

(٥) كلية الهندسة :

بها ثمان شعب ... هى : شعبة الهندسة الكهربية ، وشعبة الهندسة الميكانيكية ، وشعبة الهندسة المدنية ، وشعبة التعدين والبترول ، وشعبة العمارة والتخطيط ، وشعبة العلوم الأساسية ، وشعبة الهندسة الكيمائية ، وشعبة الغزل والنسيج .

(٦) كلية الطب :

بها أقسام الطب المختلفة كما هو متبع فى كليات الطب

فى الجمهورية العربية المتحدة [1] .

(٧) كلية الزراعة :

بها الأقسام الزراعية كما هو متبع فى كليات الزراعة فى الجمهورية العربية المتحدة .

(٨) كلية البنات :

وأقسامها الدراسية :

١ ـ قسم الدراسات العربية والإسلامية .

٢ ـ قسم الدراسات النفسية والاجتماعية .

٣ ـ قسم اللغات والترجمة .

٤ ـ قسم التجارة .

٥ ـ قسم الطب والجراحة .

وكل هذه الكليات مهما اختلفت تخصصاتها يدرس بها دراسات إسلامية متعددة كمواد أساسية فى الدراسة بها وهذا ما تتميز به جامعة الأزهر عن سائر جامعاتنا .

وتمنح الجامعة الأزهرية الدرجات العلمية الآتية :

---

[١] مضافا إلى ذلك منهج الدراسات الإسلامية التى وضعت لتؤهل المتخرج كطبيب إسلامى مثقف .

الاشراف الفنى

١ — درجة الإجازة العالية للكليات وتساوى (الليسانس أو البكالوريوس)فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة .

٢ — درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات وتساوى درجة (الماجستير).

٣ — درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية والدراسات العربية الحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرهما من الكليات وتساوى درجة (الدكتوراه) .

٤ — درجة العالمية أو الدكتوراة فى أى الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى .

٥ — المعاهد الأزهرية

« الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية ، وإلى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى والمماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم للدخول فى كليات جامعة الأزهر » .

وأخيرا .. ماذا بعد التطوير

لقد كانت جماعة كبار العلماء بالأزهر قبل التطوير لا نشاط لها لدرجة أنها آلت عضويتها إلى ستة أشخاص ، فى وقت أصبحت فيه الأبحاث الإسلامية مطلوبة والرغبة إليها ملحة لتساير التطور العلمى والفكرى الذى بات يخيم على آفاق المعرفة فى بلادنا .

فكانت الحاجة ماسة إلى مجمع البحوث الإسلامية(1) ليجد العالم الإسلامى فى أعضائه ضالته المنشودة للحفاظ على دينهم وتراثهم ، وفى رحابه اجتهد علماؤه الأفذاذ ، وقدموا مجموعات من الأبحاث ألحت ظروف العالم الإسلامى على إنتاجها وظهورها ، ليتعرف المسلمون على حكم الله فيما استجد من الأمور .

ومجمع البحوث تعتبر رسالته ربطا فكريا بين علماء المسلمين وروح العصر الذى يعيشون فيه ، ولقد كان لصدى المؤتمرات الخمسة التى عقدت بالقاهرة لعلماء المسلمين — التى دعا إليها مجمع

---

[1] هيئة كبار العلماء هى نواة المجمع بيد أنها كانت قاصرة على علماء مصر أما المجمع فقد نص قانونه على أن يتألف من خمسين عضواً من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على العشرين ، فبذلك يكون المجمع قد جمع طوائف علماء الأمة .

الاشراف الفنى

البحوث الإسلامية ـ أن أخذت الشعوب والحكومات الإسلامية بمقرراتها التى تناولت نواحى الحياة التى يحياها المسلمون فى عصرنا ، فاهتدوا بها وعملوا بما جاء فيها .

ومجمع البحوث الإسلامية يجمع بين أعضائه علماء من أنحاء العالم الإسلامى ، وهؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية والدينية ، وانضموا إلى هذه الهيئة العليا المعنية بالبحوث الإسلامية ، وتوفرت لهم فيها كل أسباب البحث والنشر والإعلان لآرائهم بالمجمع بعد أخذ موافقة جمهور علماء المسلمين فى أروقته بصفة منظمة ورسمية .

وفى الواقع : يعتبر مجمع البحوث الإسلامية ركيزة الفكر الأكاديمى بين علماء المسلمين وعقيدتهم ، وتوحيدا لاتجاهاتهم فى رحاب العقيدة الإسلامية ، حتى لا تخرج اجتهادات فردية قد تضر بروح الإسلام أو تشذ عنه ، فالمجمع كفل الوصاية الفكرية على آراء علماء المسلمين ، حتى لا تخرج عن جادة طريق الإسلام الصحيح ، فيعتبر بحق (صمام الأمان) بالنسبة للفكر الإسلامى المعاصر لتصب فيه كل الآراء حول العقيدة الإسلامية ولتنبع منه آراء إسلامية لا شائبة فيها خالصة من أى تلون أو لبس قد يضر

بمبادىء الإسلام ، وذلك حماية للدين وصونا لأبعاد الاجتهاد وصيانة لسلوك المسلمين .

فالدولة أسهمت فى الأخذ بيد هذا المجمع ليكون محطا لكل الاتجاهات الدينية الإسلامية فى كل أنحاء الدنيا وتكفلت بكل ما يتطلبه المجمع لتأدية رسالته المنشودة وتهيئة الجو العلمى لعلمائه ليبحثوا ما شاء لهم فكرهم ، وأن يقننوا بالشريعة الإسلامية ما تدفعهم الحاجة الملحة إلى سنه من قوانين فقهية أو نصوص شرعية . لدرجة أن أبحاثه التى قام بإخراجها كانت متميزة ، أبعد ما تكون عن التخلف فى ركاب الفكر الحضارى . . مسايرة لروح الدين وروح العصر الذى نعيش فيه تطبيقا للمبدأ الخالد : الإسلام لكل زمان ومكان .

فتناولت مشاكلنا المعاصرة التى تولدت نتيجة التطور الهائل من حولنا . ولقد هم علماؤه للتوصل إلى قرارات بهرت المفكرين على مختلف طبقاتهم ، لأنها ربطت العصر وروح الدين الإسلامى معا .

ولأول مرة فى تاريخ الأمة الإسلامية يجتمع حشد كبير من العلماء المسلمين من مختلف الجنسيات فى مجمع كهذا ليبحثوا القضايا الفكرية التى تلح طبيعة الحياة على العلماء المسلمين أن يبحثوها ويتناولوا بالتقصى والبحث أمور دنياهم .

أما جامعة الأزهر فلقد استهدف تطويرها . . استعادة أمجاد

علماء المسلمين الذين نهضوا بالحضارة الإنسانية طوال فترة طويلة من التاريخ الإنسانى وأمثال هؤلاء ابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون وغيرهم من الرعيل الأول فى الإسلام .

وأهم ما يتميز به هذا القانون أنه أعطى فرصة للفتاة أن تشق طريقها العلمى وسط جو من الدين والعلم لتكون الفتيات فى ساحة الجامعة الأزهرية على نظام قرآنى : « مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات » .

فتطوير جامعة الأزهر . هو خروج بها من عزلة رانت على كلياتها سنين طويلة حتى أصبحت الدراسة بها مختلفة عن التطور الفكرى العالمى ، ولتعطى لطلبتها فرصة أن يتسلحوا بالعلم والدين ليكونوا دعاة عالمين متطورين متنورين . .

وبهذا التطوير أبقت الثورة على الأزهر كأكبر جامعة إسلامية ودينية فى العالم كله . . فنفض عنه غبار السنين التى تراكمت على كاهله . . فنهض من بين ركام السنين عملاقا ناهضا متطورا . . حتى أصبح بحق موئلا للفكر الإسلامى فى أنحاء العالم . . . فالتطوير — لا شك — سيساعده

الأزهر على الحركة المتجددة فى كل المراكز الثقافية الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وأوروبا .

فعلى هذا نجد أن العالم الأزهرى سيكون عالم دين ودنيا . قادرا على تحمل المراكز القيادية فى المجالات الروحية والدنيوية .

وهذا التطوير أعطى لكليات الأزهر فرصة دراسة اللغات الأجنبية حتى لا تكون معرفة خريجى الأزهر قاصرة على (لغة العرب) دون غيرها من اللغات التى يجب أن تستوعب ليشق الخريج طريقه لتثقيف نفسه والارتفاع بمستواه العلمى ، ويكون قادرا على التعرف على الثقافات الأجنبية العالية .

فالأزهرى أصبح فى ظلال هذا التطوير الشامل للجامعة قد تميز بشخصيته التى انطبعت بأصول الدين وتفتحت باستيعابها العلوم الإنسانية فأصبح مصقول العقل ، يسير على هدى ثقافته المتنورة مستنيرا بها فى طريق حياته ليعمل فى مجال الإنتاج والحقل التبشيرى بطريقة مجدية النفع للمسلمين من الناحيتين : الفنية والدينية .

كلمة فى النهاية

إلى الأزهر الشريف جامعة المسلمين الكبرى أهدى هذا السفر فى ألفيته عرفانا بقدسيته واعترافا بعظمته وإقرارا بفضله وخلوده .

فبالإسلام يزهو .

وبعلمائه ينضح علما .

وبأبنائه يتربص لكل زيغ فيرده عن الإسلام .

فعلى جبينه الأغر نستقرىء تاريخا طويلا لبلادنا . . فهو نمط فريد فى رسالته ،وفريد فى أبنائه الذين سموا به وسما بهم فكان برهم بارا على مر العصور يحنو عليهم فيقربهم إليه ويعطيهم من ذاته فكرا لا ينضب فيستقطبهم من حوله . . وتراكمت بين جنباته دروسه لتتبع من كل روافد الإنسانية ولتوغل فى أعماق النفس فتصقلها وتؤكد أهميتها وضرورتها .

فإليك يا درة جامعات الدنيا فى تاج التاريخ أهدى إليك ولأبنائك ومريديك هذا الكتاب .

القاهرة فى : —

١ ذو الحجة ١٣٨٩ هـ
٧ فبراير ١٩٧٠ م

الفهـــرس

تصويبات

نود أن نلفت نظر القارىء الكريم إلى أن بعض أخطاء مطبعية قد وقعت سهوا ، ومن أهمها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٥	تذييل (١)	أمكن	مكن
٦٢	» »	لزيادة	لريادة
١٢٠	» »	وبعده من	وبعده عن
١٢٩	» »	للسجونين	للسجورين
١٤٠	» »	على أن وظيفة	على أنه من وظيفة

رقم الإيداع ٢٦٦٩ لسنة ١٩٧٠

الـــكتاب القـــادم

التفسير ورجاله

لفضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

عضو المجمع ومن علماء تونس

طبع بمطبعة الأزهر